# آليات الحجاج في رسالة الخطابي "بيان إعجاز القرآن"
## دراسة تحليلية في ضوء المنهج التداولي

**رامي جميل أحمد سالم** *

ramijas@psut.edu.jo

**تاريخ تقديم البحث: 2024/1/3** **تاريخ قبول البحث:25 /2024/3**

**ملخّص**

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على مدونة من المدونات التي بحثت قضية الإعجاز القرآني، وهي رسالة أبي سليمان الخطابي الموسومة بـ"بيان إعجاز القرآن"، ومحاولة استجلاء الإسهام البلاغي والنقدي لهذه الرسالة على الصعيدين النظري والتطبيقي، ومظاهر علاقة الرسالة الإعجازية بالحجاج.

وقد اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي للوقوف على أهم معطيات النظرية الحجاجية، وتوسل بالمنهج التداولي مع تطبيق لأهم نظريات الحجاج. وقد اشتمل البحث على جانبين: جانب نظري تأصيلي وجانب تطبيقي لاستخراج وحصر أهم الأساليب والتقنيات الحجاجية في الرسالة.

أظهرت النتائج غنى رسالة الخطابي بالآليات الحجاجية الموظّفة فيها، ما يجعل الحجاج نظرية صالحة للتطبيق على النصوص، ويؤهل رسالة الخطابي لتكون أنموذجاً صالحاً للتطبيق على آليات النظرية الحجاجية، كون الخطاب الإعجازي ينماز بالطابع السجالي الحواري الحجاجي، ويتخذ من الحوار والجدل والمجادلة أسلوباً في محاولة إقناع الآخر وتغيير سلوكه وآرائه. كما أظهرت النتائج ظهور اللغة الحجاجية البليغة التي استخدمها الخطابي لتكون أنموذجاً يُحتذى، وظهور تعدد الأساليب الحجاجية بين لغوي وبلاغي وعقلي، ما أكسب الرسالة الطبيعة الحجاجية، التي تهدف إلى الإقناع بشتى الوسائل والأدوات الإجرائية، ليخلص بذلك إلى أنّ أعظم أوجه إعجاز القرآن يكمن في نظمه وإعجازه البياني.

كلمات مفتاحية: الحجاج، دراسات الإعجاز، التداولية، البلاغة القديمة، النقد الحديث.

* أستاذ مشارك، حدة تنسيق المساقات الخدمية، جامعة الأميرة سميَّة للتكنولوجيا.

# The Argumentation Mechanisms in Al-Khattabi's article "Unveiling the Rhetoric Miracle of the Qur'an," An analytical Pragmatic Study

**Rami Jamil Ahmed Salem** ∗

ramijas@psut.edu.jo

**Submission Date: 3/1/2024** **Acceptance Date: 25/3/2024**

## Abstract

This research aims to identify one of the blogs that discussed the issue of Qur'anic miracles, which is the message of Abu Suleiman Al-Khattabi, tagged "Unveiling of the Miracle of the Quran." It attempted to clarify the rhetorical and critical contribution of this message at the theoretical and applied levels and the aspects of the relationship of the miraculous message to the pilgrims.

The research used the descriptive and analytical approach to identify the most significant data of argumentative theory. It used the pragmatic approach with the application of the most important theories of argumentation. It included two aspects: a grounded theoretical aspect and an applied aspect to extract and identify the most important argumentative methods and techniques in the study.

The results showed that Al-Khattabi's message is rich in using argumentative mechanisms, which makes argumentation a valid theory for application to texts. The findings also showed that such richness qualifies Al-Khattabi's message to be a valid model for application to the mechanisms of argumentation theory since the miraculous speech is characterized by argumentative dialogic characters and uses dialogue and debate as a method to persuade the other and change his/her behavior and opinions.

The results also showed the emergence of the eloquent argumentative language that Al-Khattabi used to be a model to be emulated, as well as the emergence of argumentative multiplicity methods between linguistic, rhetorical, and rational that gave the message an argumentative nature, which led to persuasion by several means and procedural tools. Thus, the study concluded that the greatest aspect of the miraculous nature of the Qur'an lies in its organization and illustrative miracle.

**Keywords**: Argumentation, miracle studies, pragmatic, ancient rhetoric, modern criticism.

∗ Associate Professor, Coordination unite for service courses, Princess Sumaya University for Technology.

**المقدمة**

ظهرت أهمية البحث في قضية إعجاز القرآن الكريم ببعديها: الكلامي والبلاغي مع بدايات القرن الثالث الهجري، ومع مطالع القرن الرابع الهجري أصبحت الدراسات البيانية في أسلوب القرآن، ذات حظ عظيم بجانب الدراسات النقدية والبلاغية واللغوية، وارتبط حينها مفهوم الإعجاز ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم، واقترن بالتحدي والمعارضة وبخصائص اللغة العربية؛ لذا سجلت دراسات الإعجاز وعلومه في ذلك القرن باكورة الدراسات القرآنية، وبدأت تظهر على الساحة دراسات جامعة وشاملة ومستقلة لإعجاز القرآن، كابن الأخشيد والواسطي (306هـ/918م)، والرماني (386هـ/997م) ، والخطابي (388هـ/998م)، ووصل الإعجاز إلى ذروته في القرن الخامس على يد أبي بكر الباقلاني (403هـ/1012م). وتعدّ دراسات هؤلاء وعلى رأسهم الخطابي "محاولات خاصة بإدراك حقيقة الإعجاز في نظم القرآن، ومعرفة أسرار أسلوبه، واصطنع هؤلاء منهجاً في البيان، لتقريب تلك الحقيقة للعقول، ... ثم تحاول الوصول للإعجاز عن طريق البلاغة"[(1)].

وتحتل علوم البلاغة من بين علوم العربية أهمية خاصة؛ فهي تأتي "في ذروة علوم العربية اشتغالاً بتدبر البيان القرآني، وجلاء أسراره، وأَخَصُّ ميادين البلاغة خدمة للبيان القرآني هو ميدان الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، بل يمكن القول إنّ تطور البلاغة العربية واكتمالها إنما تم في كنف دراسة الإعجاز القرآني"[(2)].

والمتابع لدراسات العلماء في بيان الإعجاز يقف على ثلاثة اتجاهات، ثالثها الاتجاه الذي اختطّه الخطابي والذي يجعل إعجاز القرآن في نظمه، ما جعل محمد زغلول سلاّم يثني على رسالة الخطابي، ويراها "تصور مرحلة جديدة من مراحل الدراسة البيانية لأسلوب القرآن، ووجهة نظر طريفة، ... وهي مسألة نظم القرآن، بمعنى التأليف وما تخضع له الألفاظ والمعاني من أمور لتمامه"[(3)]، وأنّها تفتقت عن

(1) سلاّم، محمد زغلول، *أثر القرآن في تطور النقد العربي*، تقديم محمد خلف الله أحمد، مكتبة الشباب، الإسكندرية، 1952، ص232-233.

(2) تحريشي، محمد، *النقد والإعجاز*، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2004، 18-25.

(3) عبد الكريم، أشرف عبد البديع، *الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن*، مكتبة الآداب، 2008، ص32. وانظر: سلاّم، محمد زغلول، أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص255.

مسائل ولطائف جديدة في فن القول، وتقدير علل وأسرار الجمال في الأسلوب العربي، الأمر الذي ساعد على نشوء ذوق أدبي قرآني في فهم البيان.

لقد كان الخطابي في تصديّه للبحث عن الإعجاز، ومواجهة هذه المسألة مواجهة مباشرة يؤسس خطاباً نقدياً، يحمل الجدّة في الطرح والحداثة في المعالجة، من خلال توظيف جهاز من الأدوات الإجرائية ذات الطابع الحجاجي، الكفيلة بالكشف عن جوانب أخرى من قضية الإعجاز في النص القرآني، فيكون الخطابي بذلك قد خطّ مساراً خاصاً به في قضية الإعجاز، إذ اتضحت حدود مصطلح النظم على يديه في رسالته وضوحاً جلياً، وذلك حين عقد بين مصطلح "النظم" واللفظ صلة وثيقة في مقابل المعنى.

فيكون الخطابي بهذا التّوجه قد أدار درس الإعجاز البلاغي على غير الوجه الذي أداره عليه غيره، فلم يهتم في رسالته بفنون القول، ولم يتكلم في علوم البلاغة والبيان كالتشبيه والاستعارة ولا البديع مما ألف الناس الخوض فيه، فجعلها في المقام الثاني، وجعل الصدارة عنده للنظم ليكشف به عن سر الإعجاز" [(1)]، فيكون بذلك قد مهّد الطريق لهذه النظرية ليكشف بها عن سر الإعجاز.

وقد سلك البحث المنهج الوصفي التحليلي لرصد التقنيات الحجاجية في رسالة الخطابي، ولاستجلاء معالمها الكامنة وراء الحجاج، كما اعتمد على المنهج التداولي بوصفة أداة ناجعة تظهر أوجه استعمال الحجاج في الخطاب، وتكشف كذلك جوانب المقام.

والمحور الذي اشتغل عليه البحث هو الكشف عن كيفية تشغيل الخطابي مبادئ الحجاج في رسالته، والوقوف على الآليات والأدوات الإجرائية الحجاجية التي اتّبعها، لنجد أنّها في مجملها سؤال من معترض ضمني حول مكمن الإعجاز في النص القرآني، والإجابة عن التساؤلات والاعتراضات من المتكلم صاحب الرسالة، وتوضيح جوانب الإعجاز مستعيناً بوسائل متعددة من آليات الحجاج والجدل، باستقراء كل الأوجه التي يحملها له السياق الزماني في عصره، والمقام الاجتماعي من صور متعددة لفرضيات يعلل بواسطتها الإعجاز القرآني، ليخلص الخطابي من كل ذلك إلى أنّ إعجاز القرآن يكمن في

(1) هذا ما يفسّر توجه الباحث عبد العزيز عبد المعطي عرفة عند حديثه عن الخطابي أن يعنون الفصل الثاني من كتابه بـ"رفض استقلال ألوان البديع أو وجوه البلاغة بالكشف عن إعجاز القرآن البلاغي والتمهيد لنظرية النظم". عرفة، عبدالعزيز عبد المعطي، *قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية*، عالم الكتب، بيروت، 1985، ص389.

نظمه وإعجازه البلاغي. فكان وكد البحث الوقوف على رسالة الخطابي وتحليلها لتلمّس عناصر الحجاج فيها، واستجلاء التقنيات والآليات والأساليب الحجاجية التي اعتمد عليها، للرد على خصومه من المشككين والمعاندين والمعترضين.

**التمهيد :**

**أولاً: المقاربة النظرية للحجاج:**

**أ- دلالة الحجاج: لغة واصطلاحاً:**

تكاد المعاجم العربية تجمع في تعريفها للحجاج على ما جاء في لسان العرب لابن منظور: "يقال: حاججته أحاجّه حجاجاً ومُحاجّة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، ... والحجة البرهان، وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم؛ وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج أي جَدِل. والتحاج: التخاصم ... وحجّه يحجّه حجاً: غلبه على حجتّه، وفي الحديث فحجّ آدم موسى أي غلبه بالحجة"(1).

فالحجة ترادف الدليل، وهي المُركّبة من المقدمات المُسلّم بها عند الخصم، المقصود منها "إلزام الخصم وإسكاته"(2)، ولما كانت الحجج تعني الطرق التي يسلكها صاحب الحجة لإقناع السامع أو المخاطب واستمالته والتأثير فيه، فإن درجة هذا التأثير تختلف وفق الطرق والآليات المستعملة في الحجاج، وكذلك الأساليب اللغوية الإقناعية الموظفة في الخطاب.

ويستقي لفظ التحاج معناه من الجدل والظفر والتخاصم التي تفترض طرفي التخاطب أو التحاج، الذي من خلاله تتحقق العملية الحجاجية التواصلية، على اعتبار أنّه "لا وجود لخطاب خارج الحجاج، ولا حجاج بلا تواصل باللسان"(3).

ولا يخلو أيّ نص أو خطاب من الحجّة، فنجدها في التواصل العادي والتواصل النوعي كما نجدها في الحجاج والجدل، وهي تنصبغ عادة بنوع الخطاب الذي تأتي فيه، فإن كان الخطاب بلاغياً كانت

(1) ابن منظور، *لسان العرب*، طبعة جديدة منقحة مادة حجج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد 2، الجزء 4، مادة (ح-ج-ج)، 2014، ص39.

(2) التهانوي، محمد، *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون*، تقديم علي العجم، تحقيق علي دحروج وآخرون، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996، ج3، ص622.

(3) عبد الرحمن، طه، *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998، ص254.

الحجة بلاغية لغوية، وكلّ حجاج يستمد معناه وحدوده ووظائفه من مرجعية خطابية محددة، ومن خصوصية الحقل التواصلي الذي يكتنفه، فنجد حجاجاً خطابياً "لسانياً" وآخر "بلاغياً" وآخر "سياسياً" وهكذا، وتبعاً لذلك يصبح الحجاج بعداً من أبعاد الخطاب الإنساني المكتوب والمنطوق[1].

ولقد ارتبطت البلاغة منذ نشأتها بالحجاج، ولم يكن هذا الارتباط ليجد الحياة لولا أنّ البلاغة في أصلها نشأت في أحضان الخطابة، فأرسطو يعتبرها "الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع"[2]، وينظر إليها بيرلمان وتيتيكاه أنّه "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالخطاب إلى التسليم بما يطرح عليه من أطروحات، أو أن تزيد من درجة ذلك التسليم"[3]. ويؤكد ميشال مايير هذا التصور فيعرّف الحجاج أنه جهد إقناعي، ويعتبر البعد الحجاجي بُعداً جوهرياً في اللغة، يسعى كل خطاب إلى إقناع من يتوجه إليه[4]. ولا يبتعد طه عبد الرحمن عمّا قدّموه فيأخذ بالبعد الإقناعي في تعريفه للحجاج، ويحدّه بأنّه فعالية تداولية جدلية[5].

وليس من الغرابة أن يوظف الخطابي في رسالته آليات الحجاج وتقنياته، وهو يحاور خصمه لإقناعهم وإبطال مزاعمهم، فكل المسائل ذات الطابع الفكري والفلسفي التي كان يعتريها الخلاف في وجهات النظر، في اللغة والفقه وعلم الكلام والبلاغة وُجّهت هذه الوجهة، واستعملت مصطلحات مقاربة لمعنى الحجاج مثل (البرهان والجدل والإقناع).

(1) أعراب، حبيب، "الاستدلال الحجاجي"، *مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت*، م30، ع1، 2001، ص98.

(2) أرسطو، *الخطابة (الترجمة العربية القديمة)*، تحقيق، عبد الرحمن بدوي، ط2، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986، ص29.

(3) صولة، عبدالله،" البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة(الحجاج) "،ضمن كتاب *الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات تطبيقية ونظرية في البلاغة الجديدة*، إشراف علوي، حافظ اسماعيل، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010، ص33.

(4) الرقبي، رضوان، "الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله "، *عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت*، م40،ع2، 2011، ص82.

(5) عبد الرحمن، طه، *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام*، المركز الثقافي العربي، الرباط، 2014، ص65.

**ب- الحجاج في الخطاب التداولي في بعده الإعجازي:**

يُعدّ المظهر الحجاجي من أبرز خصائص الفكر البلاغي، من خلال وظائف الإقناع والتأثير، وهذا يعني أنّ البلاغة تداولية في صميمها[1]، انطلاقاً من أنّ التداولية "العلم الذي يعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي"[2]. ولم يتبلور الدرس البلاغي إلا في مجال النقد التطبيقي والدراسات القرآنية، وهذا ما زاد ارتباط أبحاث البلاغة بواقع استعمال اللغة وقوانين الخطاب، وهو المجال الحيوي للسانيات التداولية.

ولما كان الحجاج أحد أهم أركان التداولية، فإنّ دراسة الخطاب الحجاجي عند الخطابي، وغيره من علماء الإعجاز دراسة تداولية له ما يسوغه؛ إذ إنّ الاتجاه التداولي للحجاج تم ربطه بنظرية أفعال الكلام، التي تحمل وظيفة إنجازية حجاجية تتجه نحو المتلقي لتغيير معتقده، أو تغيير موقفه السلوكي، أو توجيهه نحو نتيجة معينة. كما أنها ركزت على بحث التفاعل بين أطراف الخطاب المختلفة (متكلم، مخاطب، سياق المقام، الموقف الخارجي) [3].

ولقد أكّد العليوي أنّ علماء الإعجاز –وعلى رأسهم الخطابي– قد عنوا بالحديث عن المقصدية (المضمرة والظاهرة) في مدوناتهم ورسائلهم حول مفهوم الإعجاز، والتي تمثلت في خدمة المعتقد الديني، وبيان وجه الإعجاز الكامن في النظم وحسن التأليف، دفاعاً عنه أمام الطاعنين والمشككين في بلاغته، كما عنوا بكيفية بناء الكلام البليغ بشكل تأتلف فيه الألفاظ وتتجاور وتتسق في نظم مؤتلف، لتؤدي دورها في الإقناع والتأثير[4].

(1) بوقرة، نعمان، *اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة*، عالم الكتب الحديث، إربد، 2009، ص167.

(2) عبد المجيد، جميل، *البلاغة والاتصال*، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص7.

(3) ينظر: حمداوي، جميل، *من الحجاج إلى البلاغة الجديدة*، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014، ص44؛ درنوني، إيمان، *الحجاج في النص القرآني*، إشراف الجودي مرداسي، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، 2013، ص42-43.

(4) العليوي، يوسف، *الأسس المنهجية لدراسة البلاغة القرآنية*، دار كنوز إشبيليا، الرياض، 2018، ص253.

**ج- الحجاج الجدلي: تحقيق للكفاءة الجدلية**

يُعرّف الجدل أنه فن الحوار والتناظر، أو تبادل الحجج والأفكار ووجهات النظر بين طرفين، دفاعاً عن وجهة نظر معينة بالحجة والدليل من أجل الوصول إلى الحقيقة[1]، ولما كان الحجاج يزدهر في المجالات التي تحتمل الاختلاف في الرأي والتناقض في وجهات النظر، غدا مفهوم الدحض والإبطال محرك النقاش والسمة المائزة لهذا الفن الحواري[2].

واستطاع الخطابي أن يحقق برسالته " **مبدأ الكفاءة الجدلية**"، التي تقوم على توفّر القدرة على إبانة الحق والإفصاح عن الحجة، والبلوغ بهذه الكفاءة حدّاً يجعل المتكلم يصوّر الباطل في صورة الحق، بامتلاك المخاطب لهذه الكفاءة، فإنّ ذلك يؤمّنه من مغالطات المخالفين ومُشبّهات المموهين وكشف حيل المعاندين، ويُخلّص الحق من بعضهم، ومتى تماسك المجادل (المخاطب) وواصل الاستظهار بالحجج، فإنّ ذلك أقهر لخصمه وأكشف لنقصه[3].

وتخضع آليات الجدل والمناظرة نظرياً لمجموعة من الثوابت المنهجية، وهي ذات الثوابت التي اعتمد عليها الخطابي في إنشاء رسالته ومحاورته مثل: وجود المدّعي والمدّعى عليه، ووجود دعوى الاعتراض، والارتكان إلى الدليل (البنية، الشاهد، البرهان، الحجة)، واستعمال العقل والمنطق في التناظر، والابتعاد عن التعصب والعنف، واستعمال الحوار البنّاء القائم على الموعظة والحكمة الحسنة، والانطلاق من المسلمات والبدهيات بغية الحجاج والتأثير والإقناع[4].

**ثانياً: الحوار من منظور حجاجي: (مناظر حقيقي وخصم ضمني)**

أقام الخطابي رسالته على مبدأ الحوار الذي هو أساس الحجاج، في محاولة جادّة لإثبات إعجاز النص القرآني، وقد تمثلت آليات الحوار من خلال استعمال الخطابي لأفعال الحوار مثل: (قالوا ... قلتُ/ ذهب قوم إلى / زعمت طائفة / زعم آخرون / أما قول القائل ...)، وكذلك من خلال ثنائية (السؤال،

(1) عبد المجيد، جميل، *البلاغة والاتصال*، ص107، وانظر حمداوي، جميل، *من الحجاج إلى البلاغة الجديدة*، ص47.

(2) البهلول، عبد الله، *الحجاج الجدلي خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية*، دار كنوز المعرفة، عمان، 2016، ص165-166.

(3) البهلول، *الحجاج الجدلي*، ص177.

(4) حمداوي، جميل، *من الحجاج إلى البلاغة*، ص17.

والجواب) والتي تمثلت في الرسالة سؤال من معترض لم يهتدِ إلى وجه الإعجاز في القرآن، ثم الاجابة من الخطابي عن هذه الأسئلة وتوضيح جوانب الإعجاز فيها، مستعيناً بوسائل متعددة من آليات الحجاج والجدل، مستقرئاً كل الأوجه التي يحملها له السياق الزماني في عصره، والمقام الاجتماعي من صور متعددة لفرضيات يعلل بواسطتها الإعجاز القرآني، وبما أنّ الخطابي كان قد درس علم الكلام وتسلّح بهذه الأداة الجدلية الضرورية ليتمكن من خلالها الذّب عن القرآن وتأكيد صفة الإعجاز له وبيان وجه إعجازه، فإنّ خطابه في رسالته امتاز بالطابع السجالي الحواري الحجاجي.

يمكن تلمّس الأبعاد الأولى للخطاب الحجاجي عند الخطابي من خلال الأسلوب الذي اختطّه في بناء رسالته؛ فتارة يصوغ مباحثه ومسائله على شكل آراء يذكرها ثم يفنّد بعضها ويؤيد بعضها، وتارة يسوق مسائله على شكل اعتراضات من معترض ثم يعقبها بردوده ويدلل عليها بأدلة عقلية أو نقلية، ونجده يبني مقدمة رسالته على مسلّمات وبدهيّات يوافق عليها الخصم تتعلق بتقرير مسألة الإعجاز وأنها متحققة في التاريخ، وهذه الطريقة في اختيار المقدمة هي ألزم للخصم بالحجة وأبعث على الإقناع، حيث يأمن من خلالها المرور إلى النتائج التي يريدها.

وما يجدر ذكره هنا أنّ رسالة الخطابي لم تنعقد في مجلس، ولم تجرِ بحضور جمهور من النّظارة، ولا بوجود حكم يحكم لأحدهما، فكان لها وضعها الخاص من أوضاع الخطاب، فصيغت بطريقة قائمة على افتراض خصم ضمني ومُناظر حقيقي هو مؤلف الرسالة، حيث يضطلع بدور إظهار صورتين متضادتين تردان في تركيب شرطي، موظف لانتزاع أسلحة الخصم وذلك بالاستباق إليها وتجريده منها، حيث يردّ المؤلف على كل اعتراض بشكل وبأسلوب شرطي تلازمي، وغالباً ما يرد هذا الأسلوب (إن قلتَ [....] قلتُ [....]) أو (إن قيلَ [....] قلتَ [....]) ذلك أنّ الحوار "يكون ضمنياً عندما يجرد المتكلم من نفسه محاججاً ومحاوراً خاصاً يتناول معه هموم المخاطبين"[1].

واعتماد آلية المحاور الضمني أو الافتراضي تجعل الحوار يجري في ذات المتكلم الواحد، وقد حضرت في ذهنه وتفكيره آراء خصمه وأقواله، وهي صورة تثير مسألة الحوارية في نص المناظرة على نحو حاد، وهنا تصبح الأسئلة التي تجيء على لسان الخصم أسئلة مفترضة، إذ في تقنية السؤال والجواب التي يتأسس الحجاج عليها " ليس من الضروري أن يكون السؤال منطوقاً به، بل قد يكون سؤالاً مفترضاً،

(1) الطلبة، محمد سالم، *الحجاج في البلاغة المعاصرة*، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008، ص121.

لأنه يجسد الحجاج والاعتراض، وعليه فهو الذي يوجه مسار فعل الحجاج، فلكل سؤال أو اعتراض حججٌ تناسبه دون غيره، وبتغير السؤال تتغير الحجج" [1]، وهذا هو لب المنهج والأسلوب الذي بنى عليه الخطابي رسالته من أولها إلى آخرها.

وتتحلى هذه الطريقة –طريقة افتراض خصم ضمني– بإيجابيات منها: أنّها تعدل بالكلام إلى الانتصار في المعركة والتغلب على الخصم، وكذلك تجعل المناظر ينهض بوظيفتين مزدوجتين هما الدفاع عن وجهي الحقيقة، فإذا به يحتج للرأي ونقيضه على السواء، فبدا الكلام وكأنّه نوع من الرياضة الذهنية، التي يستطيع صاحبها أن يثبت الشيء ونقيضه بأدلة تبدو قاطعة، وبهذه الطريقة ينعقد الجدل والاختلاف في ذات المحاج، ويجري بينه وبين نفسه فيستحيل الحوار إلى وجهتي نظر متباينتين يتفنن في إيرادهما والرد عليهما.

## الحجاج في رسالة الخطابي

### المبحث الأول: مسارا الخطابي الحجاجيان في رسالته

#### المسار الأول: السياق والمقام استراتيجية خطابية

في سعيٍ جاد لإثبات إعجاز القرآن والرد على الطاعنين والمعترضين، اعتمد الخطابي على استراتيجيات خطابية خاصة به، وعلى مسارات حجاجية منطقية لإقناع الغير والتأثير على الخصم ذهنياً ووجدانياً ولغوياً، فكان في كل مساعيه قوي الحجة يحاجج بالعقل والمنطق والبرهان، ويدفع الحجة بالحجة ويقرع الشاهد بالشاهد، بانتقاء شواهد متعددة كحجج أوقع في قلوب معانديه، وأفحم لهم، وأثبت لرأيه، ودعم أطروحته وتهافت أطروحة خصمه؛ لتعمّقه في اللغة، واقتداره على استحضار الشعر العربي، والتمثّل به الذي به يقع الاستدلال، ويحتج به للقرآن الكريم، وما يمتلكه من تبحّر في الفقه والحديث وفي لسان العرب[2]، يخدمه في كل ذلك تضلعه في البلاغة وتمكّنه من أبوابها وتوسّعه في علوم الكلام.

(1) الشهري، عبد الهادي،" آليات الحجاج وأدواته"، ضمن كتاب *الحجاج مفهومه ومجالاته*، ص85.

(2) عبد البديع، عزمي، *في ظلال رسالة الإمام الخطابي*، موقع روى الالكتروني، عالم الكتب، العدد الثاني،2021،https://www.rawamag.com، ص6.

ولقد كان عصر الخطابي عصر جدل ومناظرة، ذلك أنّ قضية الإعجاز كانت من أخطر القضايا التي جابهت الإسلام والمسلمين آنذاك، إذ تم استغلالها للمساس بقدسية الوحي والتشكيك بإعجاز القرآن الكريم، لذا كان من الاستراتيجيات الخطابية الدفاعية التي استثمرها الخطابي التركيز على السياق والمقام، فالمقام عنده مقام إرشاد وتقرير وتوجيه، وكذلك مقام الردّ على الخصوم والتبكيت لهم، يتضح من خلال الحجج المتنوعة التي دعّم بها أقواله، والتقنيات الحجاجية التي استند عليها في ردوده على المزاعم، فكان أسلوب التقرير والإخبار من أهم الأساليب المقامية التي اعتمد عليها الخطابي، سواء في ردّه على المزاعم أو في بيان رأيه في الإعجاز والبلاغة، أو في شروحه وتحليلاته للفروق اللغوية بين المترادفات، والخطابي على وعي تام أنّ رسالته موجهة إلى أكثر من فئة، لذا راعى حال المخاطبين من خلال تخصيص الخطاب لكل فئة، وعرض الحجج التي تقنعهم بحيث جعل لكل خطاب حججه الخاصة بحسب المخاطب، لتكون هذه الحجج ضمن هذه الفئة أقدر على حملهم على الإذعان والتسليم. فيعرض للنوع الأول من المخاطَبين في مقدمة الرسالة، بحيث يوجهها لمن سبقه ممن درسوا مسألة الإعجاز فيقول: "لقد أكثر الناس في هذا الباب قديماً وحديثاً، وذهبوا فيه كل مذهب من القول..."[(1)].

والنوع الثاني من المخاطبين: من لم تنازعه نفسه مطالعة كيفية وجه الإعجاز فيه، فهو مقنع لهم، لذا يسوق الحجج المنطقية والعقلية ليخاطبهم به، لأن نفوسهم تؤمن بإعجاز القرآن، وعجز العرب عن الإتيان بمثله"[(2)]. والنوع الثالث: هم من أقرّ بأن إعجازه من جهة بلاغته إلا أنهم لم يتمكنوا من تحديد جهته بأمر ظاهر فقالوا: "وقد يخفى سببه عن البحث، ويظهر أثره في النفس..." [(3)]، فحاورهم الخطابي وساق لهم حججه البلاغية والعلل المنطقية، فخاض في باطن العلة[(4)]. أما النوع الرابع من المخاطبين: هم المعاندون لبلاغة القرآن ممكن كفروا به وأنكروه ومنهم الوليد بن المغيرة الذي صرّح الخطابي بقصة عناده التي ذكرها القرآن"[(5)].ويندرج تحت هذا النوع ذلك المخاطب غير العالم بدقائق المعاني والفروق

(1) أبو سليمان الخطابي (388هـ)، "بيان إعجاز القرآن "، ضمن كتاب *ثلاث رسائل في إعجاز القرآن*، حققه محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام،ط3، دار المعارف، القاهرة، 1956، ص21.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص22.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص24.

(4) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص24-25.

(5) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص28.

اللغوية، ليفصّل له الخطابي القول مما يحتج به على بلاغة ألفاظ القرآن ودقة استعماله للغة[1]. ومنهم الطاعنون في استعمالات القرآن لبعض الكلمات، وأنها ليست واقعة موقعاً أمكن من جيد الكلام، ليتصدى لهم ويسوق الحجج المنطقية والعقلية والنقلية لتبيان خطئهم وتجلية وجوه الصواب فيها[2].

**المسار الثاني: خطاب العقل للإذعان والتسليم بما يُطرح عليه**

إنّ الحجاج دراسة لطبيعة العقول ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها، ثم حيازة انسجامها الإيجابي والتحامها مع الطرح المقدم، أو ما أسماه أرسطو "حجة الباتوس" أي(التأثير على السامع)، الذي أوكل إلى الخطيب مهمة صناعة الحجج ليكون بذلك مسؤولاً عن صناعتها مؤكداً أنّه "على قدرة الخطيب على التحيّل وإيجاد المناسبة بين الحجة وسياقها تتوقف قوة هذا اللون من الحجج"[3]، وهنا تبرز قضية الانفعالات والعواطف التي تختبئ وراء الكلمة بما تحمله من قوة ونجاعة، وما تؤديه من دور في استمالة المخاطب ومن ثم إقناعه والتأثير به. ولم يكن الخطابي بعيداً عن هذا الطرح، فقد كان خطابه في رسالته إلى المعاندين والمشككين خطاباً عقلياً، قصد منه دعوتهم إلى إعمال عقولهم فيما يصدر عليهم من أفكار، باعتبار أن العقل هو مناط التفكير وأساس التفريق.

ونجد صوراً من هذا الخطاب العقلي في أعقاب تقديمه لرأيه في قضية ما أو مسألة معينة، فما أن ينتهي من تحليلها بالإثبات أو الدحض يختمها بجملة موجهة لهم يخاطب بهم عقولهم، باعتبار أنّ مسألة الإعجاز والخوض بها لا يُدْرك كنهها إلا عاقل وذو لبّ حصيف. وهو يوجه هذه الخطابات العقلية توجيهاً حجاجياً؛ بما يحملها من معاني القدح والتبكيت والتقريع لهم لعدم مقدرتهم على التمييز والإدراك، ليصل إلى دحض مقولاتهم والتأثير عليهم بالانفعال والعواطف، وفي النهاية استدراجهم إلى التسليم بما يذهب إليه.

وقد أشار بيرلمان وتيتكياه في مصنفهما إلى أنّ موضوع نظرية الحجاج، درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تجعل العقول تذعن وتسلّم لما يطرح عليها من آراء، فأنجع الحجاج عنده ما وفّق في

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص29-30.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص37-54.

(3) عبيد، حاتم، "الباتوس من الخطابة الى تحليل الخطاب"، ضمن كتاب *الحجاج مفهومه ومجالاته*، ص63.

جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب أو يجعلهم يمسكون عنه[1].

ونقطف من رسالة الخطابي بعض الجمل التي وجهها لمخاطبة عقول المعاندين بهدف الإذعان والتسليم ومنها:

| الموقف في رسالة الخطابي | التوجيه الحجاجي لمخاطبة العقل للتأثير |
|---|---|
| - عندما خاطب المعاندين بأنهم غير قادرين على معارضة القرآن أو الإتيان بمثله وأن ذلك ليس بوسعهم ولا بمقدورهم وإلا لما عارضوه | "**وهذا ما لا يفعله عاقل ولا يختاره ذولب**"[2] قوة حجاجية: التوبيخ والطعن لهم بأعز ما يملكون وهو العقل فالإنسان العاقل لا يجشم نفسه هذه المشاق ولا يركب المسالك الوعرة. |
| - عندما بيّن الخطابي أن قريش أهل فصاحة وأهل لدد وخصومه فكان حرّي بهم أن يهتبلوا الفرصة لمعارضة القرآن وهو من جنس كلامهم ومع ذلك عجزوا وانقطعوا عن المعارضة. | "**وهذا بيّن واضح لا يشكل على عاقل**"[3] خطاب توجيهي نحو الإذعان. |
| - عندما تحدث عن المعارضة كفن ويشير إلى تعريفه وشروطه ليبين أن قريش لم يصنعوا شيئاً في معارضة القرآن ولم يلتزموا بشروط المعارضة | "**والأمر في ذلك بيّن واضح لا يخفى على ذي مسكة ذكي**"[4] توجيه مضمر: خفي عليكم شروط المعارضة لنقص في عقولكم. |

(1) صولة، عبد الله،" الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته"، ضمن كتاب *أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم*، إشراف صمود، حمادي، جامعة الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، طلبة الآداب منوية، (د.ت)، ص299.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص22.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص22-23.

(4) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص66.

| | | |
|---|---|---|
| - عندما يشرح فكرة النظم التي تشير إلى وجه الإعجاز في القرآن، وكذلك عندما يشرح الفرق بين النسمة والرقبة في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "اعتق النسمة وفك الرقبة" | ⟵ | "**وإذا تأملت القرآن وجدت....**" [1] / "**فتفهّم الآن واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً**"[2] / **فتأمل كيف رتّب الكلامين**"[3] استعمال (تأملت/فتفهّم) تحيل إلى قضايا عقلية في التفكير وتحمل خطاباً غير مباشر:<br>إنكم لم تتأملوا ولم تفهموا ولو تأملتم وتفهمتم لأدركتم سر الإعجاز في القرآن. |
| - عندما يشرح فكرة المعاني الحاملة للألفاظ | ⟵ | "**وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل إنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم**"[4] |

إنّ مثل هذه الخطابات الحجاجية تأخذ بالحسبان الأمور النفسية والاجتماعية لغايات التأثير، وإلا كان الحجاج بلا غاية ولا تأثير، فالإقتناع دائماً "وهو عقلي ... أساس الإذعان وأساس الحجاج" [5]، ويمكن أن نقف في رسالة الخطابي على جمل أخرى تمثل إفحاماً للخصم وإبطالاً لدعواه، وقد راعى فيها الخطابي الأمور النفسية والاجتماعية ونقتبس منها:

- "إن القول في وجود ألفاظ القرآن وبلاغتها مع النعت الذي وصفناه صحيح لا ينكره إلا جاهل أو معاند، وليس الأمر ... على ما تأولوه ولا المراد في أكثرها على ما ظنوه وتوهموه"[6]. / "فإنهم ما زادوا على أن عابوا أفصح الكلام وأبلغه"[7]. /فإنهم قد غلطوا في تأويل هذا الكلام، وذهبوا عن المراد

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*،ص66

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*،ص66

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص33.

(4) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص27.

(5) صولة، عبد الله، *الحجاج أطره ومنطلقاته*، ص301.

(6) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص40-41.

(7) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص44.

فيه"[1]. /"هذا سؤال ساقط، والأمر فيه خارج عما جرت به عادات الناس"[2]. /"فما يدري هذا البائس ما يقول .... فغلط في الوصف وأخطأ في المعنى كما أبطل في الدعوى"[3]. /"وهذا ما لا يقنع في مثل هذا العلم، ولا يشفي من داء الجهل به"[4].

فالسياقات السابقة الذكر هي بمثابة خطاب عقلي للخصم، تحمل قوة حجاجية للاقتناع، بأنّ الإعجاز وفهم كنهه ووجهه لايُدرك إلا بإعمال العقل، والتّهدّي إلى مواضعه في القرآن، وما تقنيته التي اتبعها عندما ذكّرهم بكونهم "موصوفين برزانة الأحلام، ووقارة العقول والألباب، وقد كان فيهم الخطباء المصاقع والشعراء المفلقون"[5] إلا لتكون حجة أقوى وأدعم لتثبيت الأمر عليهم سلباً بالإفحام والتقرير بالعجز الكلي، وليسير إلى غاية إقناعية مقصودة ونتيجة قوية أنه لم يسعفهم كل ذلك لإدراك الإعجاز، ولم يسعفهم فيما ذهبوا إليه حيث "تركوا المعارضة لعجزهم، وأقبلوا على المحاربة لجهلهم"[6] وماذا كانت النتيجة، هي تلك التي أكدها الخطابي لهم بأنّ "حظهم مما فروا إليه حظهم مما فزعوا منه ﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ [الأعراف،119] ﴾ [7].

وفي تعزيز فكرة السلب فقد كان الخطابي يسلب منهم صفة العقل بضده، فالعاقل ضده الجاهل، والعقل ضده الجهل وعدم العلم، والخطابي هنا يؤكد أنّ من أراد أن يتبين حقيقة الفرق بينهما "اعتبرت كل واحد منهما بضده"[8]، ذلك أن معرفة الأشياء تتحقق "بأن يعتبر بضدّه ليوقف على حدّه"[9]، لذا وجّه الخطابي بعض جمله نحو التركيز على ضد العقل والعاقل ومنها:

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص45.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص55.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص69-70.

(4) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص24.

(5) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص22.

(6) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، 35ص، وانظر ص22.

(7) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص35. ما فروا إليه: القتال وإشهار السيف والمحاربة، ما فزعوا منه: المقارعة بالقول وقبول التحدي للقرآن.

(8) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص30.

(9) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص54.

"وكانوا مرة لجهلهم وحيرتهم"[1]،/ "في نحو ذلك من الأمور التي جماعها الجهل والعجز"[2]،/ عناداً للحق وجهلاً به"[3]،/ "لا ينكره إلا جاهل أو معاند"[4]،/ "وهذا ... لا يشفي من داء الجهل به"[5].

**المبحث الثاني: آليات الحجاج اللغوية**

**أولاً: الروابط الحجاجية**

تعرّف الروابط بأنها مجموعة من العناصر النحوية والظروف وحروف العطف، تربط بين قولين أو حجتين، وتسند لكل قول دوراً محدداً داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة ومنها (الواو، الفاء، لكن، إذن، حتى، لأنّ، بل، بما أنّ، لا، لا سيما، لام التعليل، المفعول لأجله، ... الخ) ولهذه الروابط دور ظاهر في حجاج مدونة الخطابي الإعجازية، ويكمن في " ترتيب الحجج ونسجها في خطاب واحد متكامل؛ إذ تفصل مواضع الحجاج، بل وتقوي كل حجة منها الحجة الآخرى"[6]. وتُقسم الروابط إلى عدة أنماط[7]: روابط مدرجة للحجج "حجة قوية أو ضعيفة" (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأنّ، سيما). روابط مدرجة للنتائج (إذن، لهذا). روابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك). روابط التساوق الحجاجي(حتى، لا سيما).ونذكر بعض تلك الروابط؛ لنتبين فاعلية توظيفها في مدونة الرسالة .

**1.الرابط الحجاجي(حتى)**

يعدّ الرابط (حتى) من الروابط الحجاجية التساوقية القوية، وينبغي للحجج التي تكون مربوطة بواسطة هذا الرابط، أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، والحجّة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، ولذا فإنّ القول المشتمل على الأداة "حتى" لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي[8].

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص28.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص28.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص28.

(4) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص40.

(5) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص24.

(6) الشهري، عبدالهادي، *استراتيجيات الخطاب*، ص472.

(7) العزاوي، أبو بكر، *اللغة والحجاج*، ص30.

(8) العزاوي، أبو بكر، *اللغة والحجاج*، ص73.

ومن شواهده عند الخطابي وهو يردّ على من زعموا أنّ إعجاز القرآن من جهة البلاغة، لكن يصعب عليهم تحديد وجه هذا الإعجاز، وإنّما يعرفه العالمون به عند سماعه ضرباً من المعرفة لا يمكن تحديده[1]، فيرد الخطابي:" قلت فأما من لم يرض من المعرفة بظاهر السّمة دون [بمعنى إلا] البحث عن باطن العلة، ولم يقنع في الأمر بأوائل البرهان حتى يستشهد لها دلائل الامتحان، فإنّه يقول إنّ الذي يوجد لهذا الكلام من العذوبة... أمر لا بد له من سبب"[2]، فما بعد حتى جاء حجة قوية أقوى من الحجة التي قبلها لمن لم يرضَ بالظاهر من الحقائق ويروم البحث عن باطن العلة لإعجاز القرآن.

ومن شواهده قول الخطابي: "فإنه يقول إن الذي يوجد لهذا الكلام من العذوبة في حس السامع، والهشاشة في نفسه، وما يتحلى به من الرونق والبهجة التي يباين بها سائر الكلام **حتى** يكون له هذا الصنيع في القلب، والتأثير في النفوس، ... أمر لا بد له من سبب" فالخطابي يحتج لسر الإعجاز بالأثر النفسي الذي يتركه:

عذوبة في حس السامع والهشاشة في نفسه ← (حجة/ما قبل حتى)

ما يتحلى به من الرونق والبهجة ← (حجة/ ما قبل حتى)

له صنيع في القلوب وتأثير في النفوس ← (حجة أقوى/ ما بعد حتى)

ودليل ذلك أنّه أفرد في نهاية رسالته جزءاً خاصاً لبيان مدى التأثير النفسي للقرآن عند سماعه :"قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس"[3]، ليجعل من هذا الأثر حجة قوية على مدى إعجازه.

وفي سياق حديثه عن إعجاز القرآن المتمثل في النظم، يأتي الرد الحجاجي مدعوماً بـ(حتى) التي تدل على أنّ ما بعدها غاية لما قبلها، وما بعدها الحجة الأقوى على باطن العلة لإعجاز القرآن المتمثل في لفظه ومعناه ونظمه: "وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، **حتى** لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ... من ألفاظه، ولا **ترى** [تقديره وحتى لا ترى] نظاماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً"[4].

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص24.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص25.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص70.

(4) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص27.

اللفظ والمعنى والنظم في القرآن غاية الشرف والفضيلة ← (حجة)

لا ترى شيئا أفصح ولا أجزل من ألفاظ القران ← (حجة قوية/ ما بعد حتى الظاهرة)

لا ترى نظماً أشد تلاؤما وأحسن تأليفا ← (أقوى حجة/ ما بعد حتى المضمرة)

**2.الرابط الحجاجي (لكن)**

يعد هذا الرابط من الروابط التداولية الحجاجية المدرجة للحجج القوية وليس للنتيجة، كما أنه يقع ضمن روابط التعارض الحجاجي أو الحجج المتعاندة، ويؤدي دور الاستدراك؛ فالمتكلم يضمنه خطابه ليستدرك به على كلامه، ويوجه الحجاج الوجهة التي يريدها بحيث يكون ما بعده عكس لما قبله.

ومن شواهد هذا الرابط عند حديثه عمن قالوا بأنّ القرآن معجز فيما يتضمنه من الأخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان .يقول: "قلت: ولا يُشك في أنّ هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه، **ولكنه** ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن، وقد جعل الله سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها"[1].

فاستثمر الخطابي خاصية الانعكاس في الأداة (لكن)، ووجه ما بعدها ليكون نتيجة مضادة لما قبلها، فجاء ما بعدها مؤكداً أنّ هذا لا يوجد في كل سور القرآن، فدل على أنّ المعنى في غير ما ذهب اليه

وفي حديثه عن أوجه المعارضة يقول: "قلت: وهاهنا وجه آخر يدخل في هذا الباب، وليس بمحض المعارضة، **ولكنه** نوع من الموازنة بين المعارضة والمقابلة"[2]. فاستطاع الخطابي من خلال الاستدراك، أن يُدخل نوعاً جديداً من أصول المعارضة وأنواعها، كدليل جديد على سوء فهم مسيلمة لهذا الفن، وعدم إدراكه لشروطه وخصائصه وأنواعه، ليوجه الخطاب نحو دلالة أنّ ما جاء به مسيلمة، لا يصلح من الأصل أن يوضع مقابل كلام الله لتتم بينهما الموازنة والمعارضة.

وفي موضع آخر نجد الخطابي عند شرحه للفرق بين الشّح والبخل يستعمل الأداة لكن ليستدرك بها على قول من زعموا أنّ الشح ما يجده الشحيح في نفسه من الحزازة عند أداء الحق، والبخل هو منع

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص23.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص65.

الحق، وليوضح الفرق الصحيح بينهما، "قال: ليس ذاك الشح الذي ذكره الله في القرآن، **ولكن** الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً، **ولكن** ذاك البخل، وبئس الشيء البخل"[1].

### 3.الرابط الحجاجي (لام التعليل)

يعد من الروابط الحجاجية المدرجة للحجج القوية، فيكون حجة لبيان السبب، يربط بين مقولتين بحيث يكون ما بعده تعليل وتبرير وحجة تفسيرية لما قبله، ومن شواهده عند الخطابي عندما أشار إلى عجز المعاندين عن المعارضة مع توافر الدواعي لديهم فقال: "فتركوا المعارضة لعجزهم، وأقبلوا على المحاربة **لجهلهم**، فكان حظهم مما فروا إليه، حظهم مما فزعوا منه (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين)" [2]:

تركوا المعارضة ←(السبب) عجزهم عن الاتيان بمثل القرآن.

اقبلوا على المحاربة ←(السبب) جهلهم وعنادهم بأنهم قادرون على المحاربة للمعاجلة.

ونجد أنّ الاقتباس السابق يحمل حججاً مترابطة مع بعضها كما يحمل النتيجة أيضاً، يمكن فهمها كالآتي :

حظهم مما فروا إليه ← وهو الإقبال على محاربة الرسول ← السبب جهلهم

حظهم مما فزعوا منه ←وهو معارضة القرآن والإتيان بمثله ← السبب عجزهم

النتيجة (ن) = لم يفلحوا بصنيعهم لا قولاً ولا فعلاً فغلبوا وانقلبوا صاغرين.

ولذلك نجد الخطابي يؤكد النص السابق بنص آخر عندما قال: "وكيفما كانت الحال ودارت القصة، فقد حصل باعترافهم قولاً، وانقطاعهم عن معارضته فعلاً أنّه معجز، وفي ذلك قيام الحجة وثبوت المعجزة"[3]. وفي موازنة حجاجية للنصين السابقين يمكن أن نتمثل الآتي:

حجة (1) "تركوا المعارضة لعجزهم" = حصل باعترافهم قولاً.

حجة (2) "اقبلوا على المحاربة لجهلهم" = انقطاعهم عن معارضته فعلاً.

نتيجة (3) "فغلبوا وانقلبوا صاغرين" = في ذلك قيام الحجة وثبوت المعجزة.

وثمّة شواهد أخرى ساقها الخطابي لهذا الرابط يمكن لنا ذكرها لتحصل الفائدة منها

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص30-31.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص35.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص29.

"فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبّو كل واحد منهما على الأخر ... **ليكون** آية بينة لينة"[1]./ "وكذلك في سورة "المرسلات" ذكر أحوال القيامة وأهوالها ... **لتكون** أبلغ في القرآن وأوكد لإقامة الحجة"[2]./ "قيل إن نعمة الله فيما أنذر به وحذر من عقوباته على معاصيه **ليحذروها** ... بإزاء نعمه، على ما وعد وبشر من ثوابه على طاعته **ليرغبوا** فيها"[3].

### 4.الرابط الحجاجي (المفعول لأجله)

ويعدّ هذا الرابط من الروابط الحجاجية التي تقتضي قوة حجاجية لبيان السبب. ومن شواهده في رسالة الخطابي في حديثه عن الوليد بن المغيرة الذي كان يعرف الحق، ولكنه لعناده ومكابرته يتجاوزه إلى الباطل فقال: "أنه لما طال فكره في أمر القرآن، وكثر ضجره منه... لم يقدر على أكثر من قوله: (إن هو إلا قول البشر) عناداً للحق وجهلاً به، وذهاباً عن الحجة وانقطاعاً دونها"[4].

فالكلمات (عناداً، جهلاً، ذهاباً، انقطاعاً) كلها كلمات تحمل قوة حجاجية تبين مدى الحيرة واليأس وجهل العناد والمكابرة لدى الوليد بن المغيرة، كما تتضمن مقتضى حجاجياً بأنّ ابن المغيرة كان يعرف الحق ويعرف القرآن ويؤثر به ولا يجهل صدق ما جاء به النبي ﷺ، "فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعاً من الاعتراف"[5]، "فقد حصل باعترافهم قولاً"[6]، لكن عنادهم قادهم إلى المحاربة والانكار والمعارضة.

وفي سياق تأكيد الخطابي على مناجزة المعاندين القرآن والرسول بالحرب للخلاص منه واستئصاله، راح يؤكد ذلك بالرابط الحجاجي النحوي قائلاً: "وإنما عاقهم عن ذلك رأي آخر ... وهو مناجزتهم إياه الحرب ومعاجلته بالإهلاك **استراحة** إلى الخلاص منه، .... فمالوا إلى هذا الرأي قصداً إلى اجتياحه واستئصاله"[7].

---

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص26.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص53.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص54.

(4) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص28.

(5) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، الصفحة نفسها.

(6) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص29.

(7) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص35.

**5.الرابط الحجاجي (لذلك، لأجل ذلك):**

وهو من الروابط المدمجة للنتيجة، حيث يتقدمها حجة معينة أو حجج تخلص إلى نتيجة فيكون عمل هذا الرابط أن يربط المقدمة بالنتيجة. ومن تمثّلات الخطابي له في رسالته.

- "ووجدت عامة أهل هذه المقالة قد جروا في تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد وضرب من غلبة الظن ... **ولذلك** صاروا إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختص بها القرآن ... قالوا ...." [(1)].
- "قلت: هذه مباراة عجيبة، ومعارضة تامة، ... وللحارث فيها ما ليس لامرئ القيس لأن المبتدئ متمكن ... والمجيز مقصور إليه ... فلذلك قد أبر عليه الحارث من التصرف ... فلذلك قد أبر عليه الحارث لما جاء من حسن التمثيل والتشبيه.... ولأجل ذلك آل امرؤ القيس ألا يماتن شاعراً بعده"[(2)].
- "وهذه الأمور لا يتفق مجموعها في اليسير من الكلام إلا لمثله من المبرزين في الشعر الحائزين فيه قصب السبق، ولأجل ذلك كان يركض الوليد [ابن عبد الملك] برجله إذ لم يتمالك أن يعترف له بفضله".

فالاقتباسات السابقة يتضح منها دور هذا الرابط الحجاجي في ربط ما قبله وهو المقدمة بما بعده وهو النتيجة، ليصبح ما بعده نتيجة حتمية لتلك المقدمة لا خلاف عليها، ولتوضيح الفكرة نمثّل على نموذج واحد منها:

الحجة (ما قبل الرابط): المبتدئ في الشعر دائماً متمكن من الاختيار وهو الحارث اليشكري وله فيه متسع، والمجيز مقيد بالتصرف (وهو امرؤ القيس).

النتيجة(ما بعد الرابط) : أبرّ الحارث على امرؤ القيس وفاز بالمعارضة عن طريق فن الإجازة.

ثم تولّد من هذه الفئة الحجاجية [الحجة/النتيجة] فئة أخرى تمثلت بالآتي:

الحجة: فوز الحارث على امرئ القيس وتغلبه عليه مع ما لامرئ القيس من شهرة في الشعر.

النتيجة: قرار امرئ القيس ألا يماتن شاعراً بعد ذلك.

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص28.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص61.

**6.الرابط الحجاجي (أمّا):**

فقد أشار طه عبد الرحمن إلى أنّ الأصل في استعمال القانون الحجاجي (أمّا)، بما هي حرف شرط وتوكيد وتفصيل، هو قاعدة تخاطبية مقتضاها أنّ المتكلم يخبر المخاطب بأقصى ما يمكن من الفائدة، فيصير هذا الأخير إلى حمل قوله على إفادة أنّ العلاقة بين المقدم والتالي علاقة شرط طرداً أو عكساً معاً[1]، أو علاقة تُحمل على التفصيل.

وقد سعى الخطابي إلى توظيف الأداة الحجاجية (أما ... ف ...) في كل أجزاء رسالته؛ لما تحمله من قوة على التفصيل والتحليل والاستيعاب، لذا يسمونها بقانون (الاستيعاب) [2]، وهذا ينسجم مع ميل الخطابي إلى تحليل الكثير من القضايا اللغوية والنقدية وتفصيلها، وبعض الآيات والأحاديث التي تدعم مقولته ودعواه أو قد تفنّد مقولات الخصم.

ففي حديثه عن الفروقات اللغوية، وما قدّمه من شروحات وتعليلات مثّل بها غير مرّة نقتبس منها:

- "أما النعت والصفة، فإن الصفة أعم والنعت أخص ...." [3].
- "وأمّا قول القائل لصاحبه: أقعد واجلس، فقد حكى لنا عن النفي...." [4].
- "*وأمّا* قولك: نعم وبلى، فإنّ بلى جواب عن الاستفهام بحرف النفي ..." [5].
- "وأما مِن وعن فإنهما يفترقان في مواقع كذلك...." [6].

فنلاحظ كيف أن (أمّا) كانت تمهيداً لتفصيل قضية ما من خلال ربطها بالفاء، التي يأتي دورها لربط جواب أمّا بها، فما بعد الفاء هو جواب الخطابي وردّه عن تلك المسألة بالتفصيل والشرح والتحليل. ونجد تمثلاتها عند حديثه عن شرائط البلاغة الثلاث، نقتبس منها:

- "أمّا المعاني التي تحملها الألفاظ فالأمر في معاناتها أشد لأنها ...." [7].

(1) عبد الرحمن، طه، *اللسان والميزان والتكوثر العقلي*، ص356.

(2) عبدالرحمن طه، *اللسان والميزان والتكوثر العقلي*، ص356.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص31.

(4) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص31.

(5) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص31.

(6) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص32.

(7) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص36.

- وأمّا رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة فيها أكثر لأنها ...." [1].
- "وأمّا ما ذكروه من قلة الغريب في ألفاظ القرآن ... فليست الغرابة مما شرطنا في حدود البلاغة"[2].

كما نجد الخطابي يوظفها بكثرة عند حديثه عن الاعتراضات التي أشار إليها الخصم للغمز في ألفاظ القرآن، فكان مع كل آية يروم شرحها وتفنيد مقولات المغرضين حولها، يوظف الأداة الشرطية أمّا، ومن توظيفاتها:

"فأمّا قوله تعالى فأكله الذئب فإن الافتراس ..." [3]، "وأمّا قوله تعالى (ونزداد كيل بعير...) فإن معنى الكيل ...." [4]، "وأمّا قوله تعالى: (سيجعل لهم الرحمن وداً) فإنهم قد غلطوا..." [5] ويسير على هذا النهج مع الاعتراضات كلها.

وفي الجزء المخصص للمعارضة الذي أشار فيه الى معارضة مسيلمة وغيره للقرآن فقد اتّبع النهج نفسه، فكان يبدأ بتفنيد ما جاؤوا به من سور قصار فيفتتح، ردّه بقوله: "**أمّا** قول مسيلمة فمعلوم أنه كلام خال من كل فائدة... **وأمّا** قول الآخر: الفيل ما الفيل، وقول صاحب ألم تر كيف فعل ربك .... فإن كل واحد من هذين الكلامين ... خال من أوصاف المعارضات وشروطها"[6].

وفي سياق الحديث عن علاقات الشرط وتوظيفها كقوة حجاجية تدعم رأي المتكلم وتسانده في الوصول إلى مبتغاه، يمكن الإشارة إلى الأداة الحجاجية (لو – لم حرف النفي ) وما ينتج عنها من تقدير للرابط الضمني (إذن)، والذي يعد من **الروابط المدرجة للنتائج**، ويستشهد الخطاب له بقوله "**ولو** كنت تعرف شيئاً من قوانين الكلام وأوضاع المنطق ورسومه **لم** تحرّف القول عن جهته، **ولم** تضعه في غير موضعه"[7].

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص36..

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص37.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص41.

(4) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص42.

(5) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص45.

(6) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص55+57.

(7) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص66.

فالخطابي يسوق هذا النص ليفنّد به ادّعاء مسيلمة الكذاب وافترائه على القرآن، فالكلام حجة قوية على تبكيت وتقريع مسيلمة، وأنّه جاهل بقوانين الكلام وأوضاع المنطق فحرف الشرط (لو) دعم فكرة النفي كحجة على مسيلمة، ويمكن تمثلها بالآتي:

**مسيلمة لا يعرف شيئاً من قوانين الكلام** ← (إذن، أداة مضمرة) **هو جاهل بها فحرّف القول عن جهته.**

**مسيلمة لا يعرف أوضاع المنطق ورسومه** ← (إذن، أداة مضمرة) **جاهل به فوضع الألفاظ بغير موضعها**

والنص برمته يحمل قوة اقتضائية تتمثل في إبطال مزاعم مسيلمة كونه جاهلاً بقوانين الكلام وأوضاع المنطق، ومن يجهل كلاهما فهو غير مؤهل للمعارضة ولا يمتلك مقوماتها، إذن ما جاء به لا يرقى لمستوى رسوم المعارضة.

وقد كان الخطابي أشار في أول رسالته، إلى أنّ القول في وجود ألفاظ القرآن وبلاغتها، على النعت الذي قدمه ووضعه لا ينكره إلا جاهل أو معاند[1]، ثم لما وصل إلى المعارضة أشار بذلك صراحة إلى مسيلمة ومن معه ووسمهم بميسم الجهل.

**ثانياً: العوامل الحجاجية:**

إذا كانت الروابط الحجاجية تتأسس على الربط بين الحجة والنتيجة، فإنّ العوامل الحجاجية تقوم بحصر الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما وتقييدها، وهي العناصر التي تكون داخل القول الواحد، وتدخل على الإسناد مثل الاستثناء والنفي، ومن العوامل أيضاً أدوات الحصر مثل [إنّما، ما ... إلا، لا... إلا] وعوامل أخرى[2].

**1.العامل الحجاجي (إنّما):**

وتتمثل وظيفة هذا العامل في زيادة القوة الحجاجية للجمل، حيث يقتصر دوره على الحجاج فقط، ويفيد معنى الحصر، وقد اعتمد الخطابي في رسالته على هذا العامل الحجاجي كثيراً، لإيصال فكرته والدفاع عن دعواه وإبطال مزاعم الخصم، وكان دوره يتمثل في التأثير على المتلقي، وحمله على الإقناع والإذعان، ومن أهم السياقات التي وظفت هذا العامل الحجاجي في الرسالة:

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص41.

(2) العزاوي، أبو بكر، *الحجاج في اللغة*، ص64.

- "قالوا إنّه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر ... وإنّما يعرفه العالمون به عند سماعه ضرباً من المعرفة لا يمكن تحديده"[1].
- "وهذا لا يقنع في مثل هذا العلم، ولا يشفي من داء الجهل به، وإنّما هو إشكال أحيل به على إبهام"[2].
- "وإنّما تعذّر على البشر الإتيان بمثله لأمور منها .... وإنّما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حاصل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم"[3].
- "تبينت أن القوم إنّما كاعوا وجنبوا عن معارضة القرآن ....، وإنّما عاقهم عن ذلك رأي آخر كان أقوى في نفوسهم وأجدى..." [4].
- "وإنّما يكثر وحشي الغريب في كلام الأوحاش من الناس .... وإنّما المختار منه النمط الأقصد الذي جاء به القرآن"[5].
- "وأما قول الآخر وما جاء به من نعت الحبلى، فإن أول ما غلط به هذا الجاهل أنه وضع كلمة الانتقام في موضع كلمة الإنعام ... وإنّما تستعمل هذه اللفظة في العقوبات ونحوها... وإنّما وجه الكلام مما رامه من المعنى أن يقول: ألم تر إلى ربك كيف لطف بالحبلى"[6].
- "وإنما يحقق معرفة الشيء بأن يُعتبر بضدّه، ليوقف على حده"[7].

إنّ كل جملة من الجمل السابقة جاءت في سياق محدد، كما أنها تدعم فكرة معينة في موضوع بيان وجه سر الإعجاز في القرآن، وإبطال مزاعم المشككين وتفنيدها، ففي كل جملة ظهر فيها العامل الحجاجي (إنّما)، كان الخطابي يحتج لفكرة ليؤكد على أهميتها أو بطلان فكرتها. ومن يراجع السياقات المقتبسة للعامل (إنّما) يتبين له أنّ دوره الحجاجي تمثل في غايتين: الأولى العمل على إثبات ما يأتي

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص24.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص25.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص26.

(4) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص35.

(5) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص37.

(6) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص69.

(7) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص54.

بعده ونفي ما قبله، وهذا مجموع عليه عند أئمة النحو[1]، ففي قوله: "وإنّما المعارضة على أحد وجوه"[2] فكأنه ينفي ما قدّمه قبل إنّما من كلام حول المعارضة، ويريد بالكلام بعد إنّما إثبات الوجوه الصحيحة للمعارضة.

الثانية: تقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما وحصرها، فانظر مثلاً لقوله "قالوا إنّه لا يمكن تصويره ... وإنما يعرفه العالمون به عند سماعه"[3] ، فالخطابي ساق هذه الجملة في معرض الحديث لمن ذهبوا إلى أنّ الإعجاز في القرآن يكمن في بلاغته، لكنهم عجزوا عن توضيح العلّة في ذلك، وحصروا معرفة هذه العلّة للخاصة من العلماء العالمين ببيان القرآن وبلاغته، المتمرّسين والمتذوقين له، فلا يدرك هذا الأمر إلا هم ومن على شاكلتهم، فالعامل الحجاجي (إنّما) ساعد على حصر وتقييد فكرة معرفة سر الإعجاز البلاغي بفئة مخصوصة من أهل العلم والمعرفة، لذا اعتبر الخطابي مثل هذا التعليل ضرباً من الإيهام ومجرد توهمات، فهو "لا يقنع في مثل هذا العلم ولا يشفي من داء الجهل به"[4]، فقيّد الفكرة وحصر إمكانياتها بأنّ ما يقولونه أمر مشكل وضرب من الإيهام، واستعان بتأييد فكرته وإبطال مزعمهم القائم على الظن دون التحقيق بالعامل الحجاجي إنّما، فقال: "إنّما هو إشكال أحيل به على إيهام"[5].

## 2.العامل الحجاجي (لأنّ)

يعتبر العامل (لأنّ) من أهم ألفاظ التعليل، وقد استعمل الخطابي هذا العامل تبريراً لفعله أو تعليلاً له، بناءً على سؤال ملفوظ به أو سؤال مفترض، ومن سياقاته في رسالة الخطابي:

- "فتفهم الآن واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزاً **لأنّه** جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف"[6]

(1) أبو يعقوب السكاكي (626هـ)، *مفتاح العلوم*، تعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978، ص291.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص58.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص24.

(4) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص24.

(5) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص24.

(6) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص25.

- "فأما المعاني .... فالأمر في معاناتها أشد **لأنها** نتائج العقول .... وأما رسو النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذف فيها أكثر **لأنها** لجام الألفاظ ...." [1].
- "وإنّما جاز حذف الجواب .... **لأن** المذكور منه يدل على المحذوف.... وقد قيل: إن الحذف في مثل هذا أبلغ ..... **لأن** النفس تذهب في الحذف كل من مذهب"[2].

ولتوضيح الفكرة نقف على الاقتباس الآخير، فنجد الخطابي يتحدث عن بلاغة الحذف، ويريد أن يعلّل ويفسر موطن البلاغة في الحذف، فتمكن بذلك من خلال الرابط السببي (لأنّ) ويمكن لنا أن نمثل ذلك بالآتي:

حذف الجواب في بعض المواضع ← جائز وحسن (حكم) "جاز حذف الجواب وحَسُن" ← لأنّ رابط سببي ← المذكور فيه يدل على المحذوف (سبب نحوي لساني، تماسك النص).

الحذف للجواب في بعض المواضع مذهب (سبب بلاغي نفسي، بلاغة التأثير). ← فيه تحقيق للبلاغة "أبلغ من الذكر" ← لأنّ رابط سببي ← النفس تذهب بالحذف كل

**3.العامل الحجاجي (ما ... إلا):**

من التراكيب التي تترتب فيها الحجج بحسب درجتها الحجاجية، ذلك التركيب الذي يتضمن الأداتين (ما ... إلا) أو (أداة نفي ... إلا) في ترتيب الحجج في سلّم واحد؛ إذ إنّ هذا العامل "يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض"[3]، كما أنه لا يربط بين الحجة والنتيجة بل يقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وهذا ما يستثمره المخاطب لإقناع المخاطَب بفعل شيء ما.

ففي حديث الخطابي عن شرائط البلاغة، بيّن أن الكلام يقوم باللفظ والمعنى والنظم، وأنّ هذه الفضائل توجد على التفرق في أنواع الكلام ولم توجد مجتمعة إلا في كتاب الله، فحصر وجودها فيه قائلاً:

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص29.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص52.

(3) المبخوت، شكري،" نظرية الحجاج في اللغة" *: ضمن (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية)*، إشراف حمادي حمود، جامعة الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، ص381.

"فأما أن توجد في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير، الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً"[1].

وفي سياق تفريقه بين النعت والصفة، فقد حدد الوجهة البلاغية للنعت، وحصرها في محدود قائلاً "وأما النعت فلا يكاد يطلق إلا فيما لا يزول ولا يتبدل، كالطول والقصر والسواد والبياض..." [2]، لذا بيّن أنّ النعت أخص من الصفة[3].

ولما تحدّث عن الفرق بين بلى ونعم، نقل رأي النحوي الفرّاء ليحدد به إمكانات قدرة الحرف (بلى) في مسألة الجواب قائلاً: "وقال الفراء: بلى لا يكون إلا جواباً عن مسألة يدخلها طرف في الجحد"[4]. وفي بيان توضيح الخطابي وردّه على من رأوا أنّ سور القرآن لو كانت مرتبة، بحيث تكون أخبار الأمم في سورة، والمواعظ والأمثال في سورة كان ذلك أحسن، أشار إلى أنّ نزول القرآن بهذه الصورة أكثر لفائدتين وأعم لنفعه، وأشار أنّه "لو كان لكل باب منه قبيل، ولكل معنى سورة مفردة لم تكثر عائدته، ولكان الواحد من الكفار والمعاندين المنكرين له اذا سمع السورة منه لا تقوم عليه الحجة به إلا في النوع الواحد الذي تضمنته السورة الواحدة فقط ،فكان اجتماع المعاني الكثيرة في السورة الواحدة اوفر حظاً وأجدى نفعاً من التمييز والتفريد للمعنى الذي ذكرناه "[5].

وفي ردّ الخطابي على اعتراضات بعض المبطلين على بعض ألفاظ القرآن، التي وردت في ظنهم مخالفة لمعنى السياق، فقد قام بتوظيف العامل الحجاجي ليحصر به سبب الاعتراض والإدعاء، ويفنّد اعتراضاتهم بطريقة صارمة مقنعة ، فيقول: "إن القول في وجود ألفاظ القرآن وبلاغتها على النعت الذي وصفناه صحيح لا ينكره إلا جاهل أو معاند، وليس الأمر في معاني هذه الآي على ما تأوّلوه، ولا المراد في أكثرها على ما ظنوه وتوهموه"[6].

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص27.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص31.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص31.

(4) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص32.

(5) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص54.

(6) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص41.

**المبحث الثالث: السلم الحجاجي**

يعد السلم الحجاجي علاقة تراتبيّة للحجج يمكن الترميز لها كالآتي[1]:

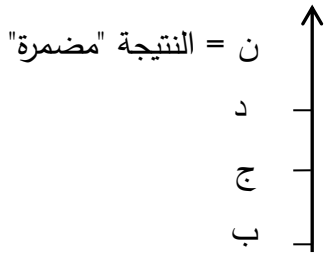


ب – ج – د هي حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن" ،ويتّسم السلم الحجاجي بسمتين [2]:

أولاً: كل قول يرد في درجة ما من السلم يكون القول الذي يعلوه أقوى منه بالنسبة إلى ن "النتيجة"، بحيث يلزم عن القول الموجود بالطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ثانياً: إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن"، فهذا يستلزم أن "ج" و"د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح، ويمكن لنا التوضيح بالسلم الحجاجي الآتي:

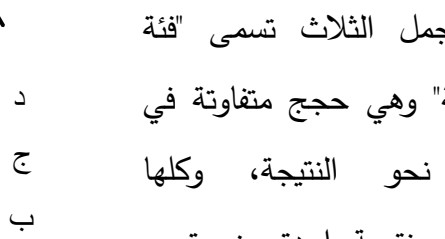


هذه الجمل الثلاث تسمى "فئة حجاجية" وهي حجج متفاوتة في قوتها نحو النتيجة، وكلها استلزمت بنتيجة واحدة مضمرة.

يبدأ الخطابي رسالته بالبحث عن سبب الخلاف في الوجه أو الوجوه التي كان بها القرآن معجزاً، وتفنيد كل الوجوه السابقة، ثم يستدل بعد ذلك على استقرار حقيقة الإعجاز، وثبوت التحدي للعرب قاطبة بكون الرسول ﷺ ظل يخاطبهم مدّة عشرين عاماً، ويستحضر الخطابي رسول النبوة ﷺ ليستشهد بأقواله وأفعاله على عجز المشركين وانقطاعهم مع عدم مقدرتهم على معارضة القرآن، ويمكن تمثيل ذلك بالسلم الحجاجي الآتي[3]:

(1) العزاوي، أبو بكر، "الحجاج في اللغة"، ضمن كتاب *الحجاج مفهومه ومجالاته*، ص60–61.

(2) عبد الرحمن، طه، *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام*، ص105، انظر العزاوي، مرجع سابق، ص60.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص21.

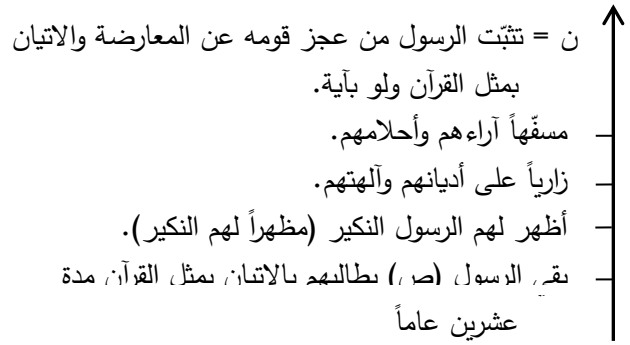


فلقد حمّل الخطابي الفئة الحجاجية السابقة صوراً من التوبيخ والتقريع للمشركين المعاندين، وقادهم إلى الإذعان بحقيقة أنّ القرآن معجز،وأكّد فشل تذرعهم بالحرب ومناصبتهم الرسول بالعداء من خلال تأكيده لهم أنه "لو كان بوسعهم [يقصد المعارضة] وتحت أقدارهم، لم يتكلفوا هذه الأمور الخطيرة، ... ولم يكونوا تركوا السهل الدمث من القول إلى الحَزَن الوعر من الفعل"[1].

وفي سياق آخر يشير الخطابي إلى تهيّب السلف من تفسير القرآن خوفاً من الزلل، ويتخذ من الأصمعي وعمر بن الخطاب وابن عباس شواهد حجاجية على تأكيد فكرة التهيّب والخوف من عدم إصابة المعنى المقصود، من خلال تراتبية سلمية نوضحها بالسلم الآتي[2]:

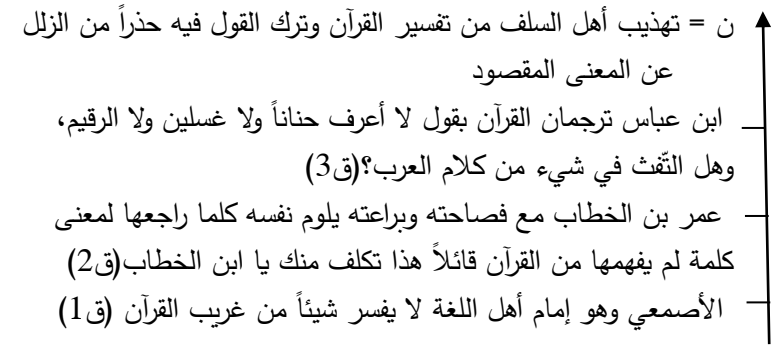


ونلحظ في السلم السابق أنّ الحجج تتمايز من حيث قوتها إلى النتيجة فـ (ق 2) أقوى من (ق 1)، وكذلك (ق3) أقوى من (ق 2)، وهذا يُحقق شرط من شروط السلم الحجاجي، الذي ينص على أنّ ( كل

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص21-22.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*،ص34، ص36.

قول يرد في درجة ما من السلم يكون القول الذي يعلوه أقوى منه بالنسبة الى ن "النتيجة"، بحيث يلزم عن القول الموجود بالطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه)

وتظهر فكرة السلالم الحجاجية بوضوح في الجزئية الخاصة، التي أبان فيها الخطابي عن عِلّة الإعجاز الحقيقي للقرآن وهي النظم، وتكلّم على قوانين عمود البلاغة وأجناس الكلام، فالخطابي بعد أن يعرض آراء السلف في وجوه الإعجاز وتفنيدها وردّها يقول: "فدلّ النظر وشاهد العبر على أنّ السبب له والعلة فيه أن أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة متباينة، غير متساوية"[1] ، فوضع العلل في مراتب متسلسلة كالآتي

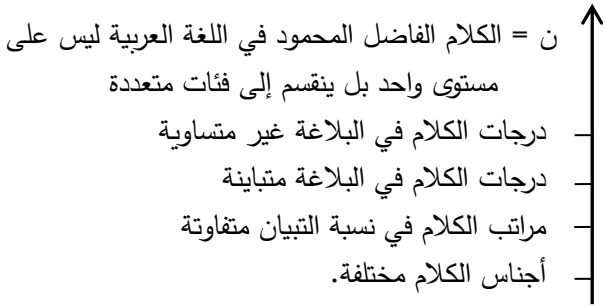


وهو بهذا التعليل يمهد للحديث عن أقسام الكلام التي اشتمل عليها القرآن، التي بها كان إعجازه وبيانه، وتسمى هذه الطريقة في نظرية الحجاج **بـ"الوصل السببي"**[2]، وهو يعدّ من أدوات التعليل التي يعمد المخاطب فيها إلى الربط بين أحداث متتالية، مثل الربط بما يمكن أن يكون مقدمة لنتيجة، لتصبح هذه النتيجة مقدمة لنتيجة أخرى، فالخطابي ساق النتيجة في السلم السابق لتكون مقدمة إلى فقرة جديدة تالية، فبعد أن يعرض حديثه عن الكلام ودرجاته يواصل حديثه عن أنماط الكلام التي احتواها القرآن، فيقول: "فمنها البليغ الرصين الجزل ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائز الطّلق الرّسل وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم، الذي لا يوجد في القرآن شيء منه البتّة، فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه، والقسم الثاني أوسطه وأقصده، والقسم الثالث أدناه وأقربه، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع من أنواع شعبه، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة، وهما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادين لأن العذوبة نتاج السهولة، والجزالة والمتانة في الكلام تعالجان نوعاً من الوعورة، فكان اجتماع الأمرين في

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص26.

(2) الشهري، عبد الهادي، *آليات الحجاج*، ص82.

نظمه مع بنوّ كل واحد منهما على الآخر فضيلة خصّ بها القرآن...، ليكون آية بينة لنبيه، "[1].ويمكن ترتيب هذا الكلام ضمن سلم حجاجي تفاضلي كالآتي:

نتلمس في السلّم الحجاجي السابق ما يُسمى **بـ"السلم التفاضلي"**، فقد كانت صورة التفاضل في طبقات الكلام واضحة، رتّبها كالاتي: (أدنى طبقة وأقربها ← أوسط طبقة وأقصدها ← أعلى طبقة وأرفعها)، فكانت كل حجة تالية في السلم أقوى من التي دونها لدعم النتيجة، بحيث تكون أعلى درجة في السلم أقوى الحجج نحو دعم النتيجة.

وقد علّل الخطابي السر البلاغي الذي أعجز العرب عن الإتيان بمثل هذا القرآن أو بسورة من مثله، ووضعها في درجات يمكن تمثيلها بالسلم الآتي[2]:

- ن = عجز العرب عن الاتيان بمثل القرآن أو بسورة من مثله أو معارضته
- عدم قدرة العرب على اختيار الأفضل عن الأحسن من وجوه النظوم
- معرفة العرب لا تكتمل لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلاف الألفاظ وارتباط بعضها بعضاً (سرٌّ في النظم)
- أفهام العرب لا تدرك جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ (سرٌّ في المعاني).
- علم العرب لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل (سرٌّ في الألفاظ).

ويعدّ السلم الحجاجي السابق في التصنيف الحجاجي من شواهد **الاستدلال السببي العقلي**، الذي يُعدّ من أبرز الاستدلالات الحجاجية وأقدرها على التأثير، حيث تقوم على وجود علاقة سببية يربط بها المتكلم بين أجزاء الكلام لجعل بعضها سبباً لبعض[3]؛ فالحجج السابقة في السلم كانت استدلالات وتعليلات لسر عجز العرب عن المعارضة، فهم عجزوا عن فهم مقومات عمود البلاغة التي أشار إليها الخطابي وهي الألفاظ والمعاني والنظم والتأليف بينهما.

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص26.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص26-27.

(3) الدريدي، سامية، *الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه*، عالم الكتب الحديث، إربد، 2008، ص127.

إنّ نصوص الخطابي السابقة والتي تم تمثيلها بسلالم حجاجية، وتطرقت للحديث عن وجه إعجاز القرآن، يصدق عليها في نظرية الحجاج بما يُعرف **بـ"الحجاج بالتفريع"**، أو ما يسمونه تقسيم الكل إلى أجزاء، وهو أن يذكر المتكلم حجته كلياً أول الأمر ثم يعود إلى تعداد أجزائها، فكل جزء منها يصبح دليلاً على دعواه[1].فالخطابي في نص سابق من رسالته يجعل وجه الإعجاز في امتزاج المتضادات وتآلف المختلفَين في بيان واحد وخطاب متسق لا يجتمع في بلاغة البشر، فتمكن من توظيف التحليل بذكر الأنواع والأقسام التي تشتمل عليها أجناس الكلام توظيفاً حجاجياً، ليخلص إلى نتيجة هي إعجاز القرآن وتفوقه مع تنوع أساليبه، وتباين ألفاظه عذوبة وجزالة وسهولة ووعورة ليثبت للناس أنّه من لدن حكيم عليم.

وبناء على ما سبق يصل الخطابي إلى وضع نظريته في الكلام، والتي عدّها "عمود البلاغة"، وبها يتحقق النص المعجز، فيقول: "وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاث: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم"[2]، مؤكداً أنّ البلاغة تكون باجتماع هذه الشروط الثلاث على الوجه الذي وضّحه[3].

ن = مكونات الكلام المعجز مجتمعة في قالب واحد

- رباط لهما ناظم(أحسن نظوم التأليف).
- معنى قائم (أصح المعاني وحوامل الالفاظ).
- لفظ حامل (الألفاظ الفصيحة الجزلة).

ولما كانت أعلى درجة في السلم أقوى حجة نحو النتيجة، أكّد عليها الخطابي واعتبر النظم سرّ وجه الإعجاز، وعبّر عنه بأنّه "لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان"[4].

ويسوق الخطابي بعد ذلك عبارات حجاجية تحمل قوة إقناعية للخصم بتثبيت دعواه وإبطال دعواهم، فخاطبهم قائلاً: "وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل .... ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلازماً وتشاكلاً من نظمه، أما المعاني

(1) الشهري، *استراتيجيات الخطاب*، ص494.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص27.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص37.

(4) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص36.

... تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل في نعوتها وصفاتها"[1]، فيصبح كل مكوّن من مكونات الكلام يحمل قوة إنجازية، وبهذا تمكّن الخطابي أن يوقع اليقين بقلوب المشككين والمعاندين بصحة الإعجاز ووجهه، فخاطبهم بخطاب العقل قائلاً: "فتفهّم الآن واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني"[2].

فالنص السابق قوة في الحجاج يستمد قوته من فعل الأمر "تفهّم" والفعل (اعلم)، وكلاهما فعل أمر إنجازي يستهدف إعلام المخاطب أمراً يستلزم منه الإذعان والمعرفة والفهم، ذلك أنّ فعل الأمر يُعدّ من الأساليب الإنشائية، وبلغة التداوليين يُعد فعلاً كلامياً يحمل قوة إنجازية تحددها إرادة المتكلم وقصده، وهي إرادة متعلقة بطلب إيقاع المأمور به وعدم إيقاع المنهي عنه"[3]. ونلحظ من النص كيف أنّ توظيف الخطابي للفعل الكلامي (اعلم) جعله يتضافر مع السياق للوصول إلى النتيجة التي يقصدها، تعاضده روابط حجاجية مؤكدة وهي (إنّما) التي تعطي معنى الحصر والتقييد لوجه الاعجاز كما أراده الخطابي .

وقد علّق عبد السلام المسدي على الاقتباس السابق بأنّ الخطابي قد نفذ من خلال موازنة اللفظ والمعنى إلى صميم الرؤية اللغوية الخاصة، فقد انطلق من محض دلالي ميّز بموجبه بنية الدال، فسماه ظرفاً حاملاً على بنية المدلول فسماه مظروفاً قائماً، ثم تخلص إلى قدرة اللغة على الاستيعاب والانتشار بحيث تتعذر على الإنسان الإحاطة الفعلية لجميع دوال اللغة فضلاً عن المجالات الدلالية مما يسمح الاستعمال بتكاثره إلى الحد الذي لا يتناهى، والعلة في ذلك عجز البشر عن الإحاطة بجميع أسماء الله[4].

**مبدأ التعارض الحجاجي:**

ويُقصد بها وجود أقوال وحجج إيجابية وقوية، لكنها تدعم نتيجة سلبية عكس الحجة، ومقتضى هذا المبدأ، أنّه إذا كانت لدينا حجة "حـ"، تصلح لتعزيز نتيجة "ن"، فمن الضروري أن توجد حجة " حَ "

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص27.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص27.

(3) صحراوي، مسعود، *التداولية عند العلماء العرب*، دار الطليعة، بيروت، 2005، ص148.

(4) المسدي، عبد السلام، "مراجعات في الثقافة العربية"، *مجلة الحياة الثقافية، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، تونس*، المجلد 4، العدد6، 1979، ص8.

لتعزيز النتيجة المعارضة " لا (ن)" ، (بحيث حـَ ليست بالضرورة هي " لا (حـ) ،[1] ويصلح معها الرابط الحجاجي (مع ذلك) أو(لكن)، ونجد لهذا النمط من الحجاج شاهدين في رسالة الخطابي، **الشاهد الأول:** في سعي الخطابي لتثبيت وجه الإعجاز للقرآن، وبيان عدم مقدرة العرب على معارضته، فاتخذ من قريش وما كانوا يتحلون به من فصاحة وبيان، شاهداً ودليلاً على عجزهم فكانوا لا يحيرون جواباً، [2] ويمكن تمثل ذلك بالسلم الحجاجي التعارضي :

ن = (مع ذلك) عجزوا عن معارضة القرآن وانقطعوا عن الإتيان بمثله مع أن القرآن بحضرتهم وتحت أقدارهم "نتيجة سلبي".
- أصحاب فصاحة وجدل ولدد وخصومة
- فيهم الخطباء المصاقع والشعراء المفلقون.
- هم موصوفون بوفارة العقول والألباب
- قريش خاصة موصوفون برزانة الأحلام

وكعادة الخطابي في تثبيت ما يذهب إليه، راح يؤكد اقتباسه السابق بمثال يعد استدلالاً منطقياً لإبطال الدعوى، وإثبات العجز مع توفر الدواعي، غايته في ذلك توكيد دعواه السابقة، فطرح المثال التالي: "ومعلوم أنّ رجلاً عاقلاً لو عطش عطشاً شديداً خاف منه الهلاك على نفسه وبحضرته ماء معرّض للشرب فلم يشربه حتى هلك عطشاً [لحكمنا] أنه عاجز عن شربه غير قادر عليه"[3].

ويضع ديكرو قاعدة لهذا الاستدلال مفادها: من القضية الأولى "ق" استخلص "ن"، ومن القضية الثانية "ك" استخلص "لا – ن"، ومن "ق" لكن "ك" استخلص "لا – ن" (حيث "ق" و "ك" قضيتان و"ن" نتيجة)،[4] فنجد كيف أنّ "لكن" وجهت دلالة القول كله إلى سلب نتيجة مضمون الجملة المستدركة.

(1) رشيد، الراضي،"الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو"، *مجلة عالم الفكر*، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع1، مج 4، 2005، ص231.

(2) ينظر: الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص22.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص22.

(4) صولة، عبدالله، "البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة"، ضمن كتاب *الحجاج مفهومه ومجالاته*، ص27.

**الشاهد الثاني:** نجده في حديث الخطابي عن تهيّب السلف من تفسير القرآن، إذ يستشهد بشخصية الصحابي عمر بن الخطاب الخليفة الراشد، واللغوي الأصمعي، فكلاهما رغم ما يمتلكانه من فصاحة ومعرفة، كانا يترددان في تفسير بعض آي القرآن الكريم[1]، ويمكن تمثيله بالآتي:

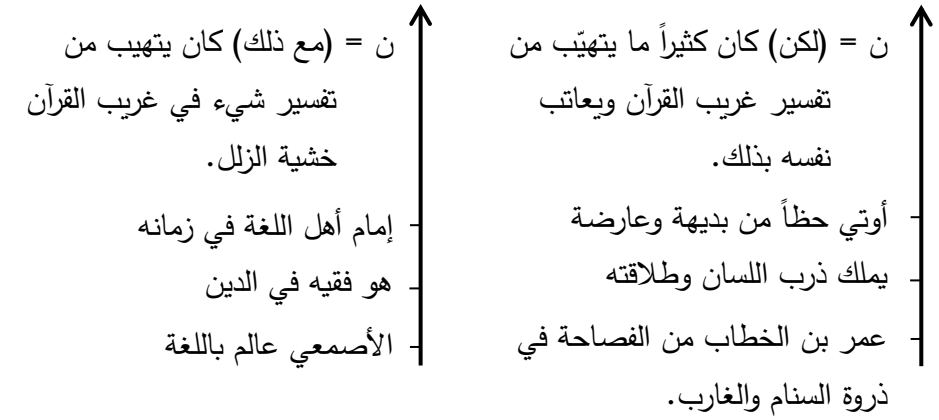


**العلاقة الحجاجية: الحجاج بالتعليل السببي:**

ويرد هذا النوع من الحجاج عند استعمال التراكيب الشرطية المضمرة أو الظاهرة، وذلك ادعى لتوليد حجج جديدة ذات صلة بالحجة الأولى، ويمكن بناءً على هذا التسلسل الشرطي الظاهر، الربط بين أول مقدمة وآخر نتيجة في الخطاب[2].

ومن شواهد هذا النمط من التعليل الحجاجي بالسبب عندما تحدث الخطابي عن باب زيادة الحروف وحذفها في بعض مواضع الكلام، ضمن سياقات الرّد على شبهات المشككين وادّعاءاتهم، وذلك عندما ادّعى بعض المدّعين أنّ العبارات الواقعة في القرآن لم تأتِ في أفصح وجوه البيان وأحسنها، وبعضها يخالف ما جاء عند أصحاب اللغة وأهل المعرفة[3]، فنجد الخطابي بعد أن يُفنّد ما ذهبوا إليه ويُبطل أقوالهم بالحجج والبراهين والأدلة المتعددة يقول: "فافهم هذا الباب [زيادة الحروف وحذفها] فإنك إذا أحكمت معرفته استفدت علماً كثيراً وسقطت عنك مؤونة عظيمة، وزال عنك ريب القلب وتخلصت من شغب الخصم"[4].

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص34 + ص36.

(2) الشهري، عبد الهادي، *آليات الحجاج*، ص83.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص37-39.

(4) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص48.

فالاقتباس السابق اشتمل على أربع حجج، ظهر في بدايتها التركيب الشرطي (إذا) وأُضمر مع باقي الحجج، فعمل على ربط الحجج بعضها بعضاً، والخطابي بهذا المسلك يسعى لرد اعتراض المعترضين، ليبين لهم أنّ "حذف الحروف وزيادتها جاءت على نهج لغة العرب الأولى قبل أن يدخلها التغيير، ثم صار المتأخرون إلى ترك استعمالها في كلامهم، فاختلط عليكم الأمر ولم تفهموا المراد"[(1)]، وقد ساق الكثير من الشواهد الشعرية وغيرها لإثبات هذه الدعوى، ويمكن لنا تمثيلها بالمخطط الآتي:

إذا أحكمت معرفة هذا الباب (مقدمة بأداة شرط ظاهرة) ← استفدت علماً كثيراً (نتيجة 1).

و(إذا) استفدت علماً كثيراً (مقدمة بأداة شرط مضمرة) ← سقطت عنك مؤونة عظيمة (نتيجة 2).

و(إذا) سقطت عنك مؤونة عظيمة(مقدمة بأداة شرط مضمرة) ← زال عنك ريب القلب (نتيجة 3).

و(إذا) زال عنك ريب القلب(مقدمة بأداة شرط مضمرة) ← تخلصت من شغب الخصم (نتيجة كلية).

فهذا الرد يتضمن إفحاماً كلياً للخصم، ورداً منطقياً لاعتراضهم، تمكن الخطابي من تمثيله من خلال توظيف أداة الشرط (إذا).

**المبحث الرابع: الشبهات والاعتراضات دراسة حجاجية في الرد والتفنيد**

أفرد الخطابي مساحة كبيرة من رسالته للاعتراضات والشبهات، التي قادها بعض المشككين والمعارضين، وهي اعتراضات ناشئة في جوهرها عن جهل المعترضين بمواقع الألفاظ في العبارة في القرآن، وبأساليب المجاز كذلك في القرآن، وجهلهم بحقائق أوضاع اللغة، والفهم الدقيق لمعاني الألفاظ في أبعادها الدلالية، فيحدد الخطابي أولاً مبدأهم في الاعتراض القائم على ادّعائهم الآتي: "إنّا لا نسلّم لكم ما ادّعيتموه من أنّ العبارات الواقعة في القرآن إنّما وقعت في أفصح وجوه البيان وأحسنها لوجدنا أشياء فيها بخلاف هذا الوصف عند أصحاب اللغة وأهل المعرفة بها"[(2)].

ثم يشير الى المواطن التي غمزوا بها القرآن الكريم وهي: ألفاظ القرآن وآلية نظمه وتأليفه، وكثرة الحذوفات في بعض الآيات التي يستغلق معها المعنى، والتكرار في أسلوبه وقلة الغريب، وزيادة بعض

(1) يسوق الخطابي شواهده من صفحة 46-49.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص37-38.

الحروف من غير فائدة، وتكرار القصة الواحدة في القرآن، وسوء التأليف والربط بين بعض الآيات وغيرها من المطاعن"[1].

ويبدأ الخطابي بالرد على هذه الاعتراضات واحدة تلو الأخرى، يفنّدها ويُبطل حجتها بالدليل والشاهد ومقارعة الحجة بالحجة، وغايته توضيح الجانب التطبيقي في نظرية النظم وهو أهم جانب في الرسالة، ويعلل الخطابي إقدامه على الرد والطعن والمحاججة مع جسامة هذا الأمر، وشرف موضوعه بأن الرسول ﷺ حثّ على تعلّم إعراب القرآن والتماس غرائبه وتفسيره والبحث عن معانيها[2]، ومن يراجع ردود الخطابي على الشبهات يقف على الحقائق الآتية:

أولاً: كانت الردود شافية ومقنعة في تفنيد الآراء، يظهر فيها الدقة في التحليل، والذكاء في الاستنباط، والحذق في عرض الأسلوب، كما كانت ردوده مفعمة بالحجج والبراهين القوية، من العلم باللغة وبوجوه الكلام، وبفقه طرائق القرآن في الفصاحة والبيان، فكان يحاجج بالعقل بانتقاء شواهد من القرآن والحديث والشعر والمثل، حيث وجد فيها متّسعاً للانتقاء لتكون هذه الشواهد الحجاجية أوقع في قلوب معانديه وأفحم لهم، ومن طرف آخر تثبّت رأيه وتدعم أطروحته وتدحض اعتراضات خصمه وتفلجهم.

فبهذه الإمكانات والآليات الحجاجية الإقناعية كان الخطابي يعرض للرأي المخالف، ويأتي بنماذج من ردوده واعتراضاته، يردّ عليه كاشفاً ما خفي عنه، حيث يبدأ ردوده بحجة مقنعة قائلاً: "والجواب أنّ القول في وجود ألفاظ القرآن وبلاغتها على النعت الذي وصفناه لا ينكره إلا جاهل أو معاند، وليس الأمر في معاني هذه الآي على ما تأولوه ولا المراد في أكثرها على ما ظنوه وتوهموه"[3]، وهو بهذه البصيرة الناقدة يقلب العيوب إلى حسنات، ويستثمرها للانتصار للنص القرآني، وكأنه يستغل جهل المعترضين بخصائص ألفاظ اللغة العربية ونظوم التأليف للعبارة، ومن الأمثلة على ذلك عرضه لشبهة التعبير بلفظ (أكل) في قوله تعالى : ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ﴾ [4] ، مدّعين أن اللفظ المختار الفصيح هنا الافتراس وليس الأكل، فيرد الخطابي أنّ الافتراس معناه في فعل السبع القتل، وأصل الفرس دق العنق، والقوم إنّما ادّعوا على

(1) يمكن مراجعتها في رسالة الخطابي، ص38-45.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص34.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص40-41.

(4) سورة يوسف، آية 17.

الذئب أنّه أكله أكلاً، وأتى على جميع أجزائه وأعضائه فلم يترك مفصلاً ولا عظماً، وذلك أنّهم خافوا مطالبة أبيهم إياهم بأثر باقٍ منه يشهد بصحة ما ذكروه، فادّعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفَرْس لا يعطي تمام هذا المعنى، فلم يصلح على هذا أن يُعبّر عنه إلا بالأكل، على أنّ لفظ الأكل شائع الاستعمال في الذئب وغيره من السباع"[1].ثم يدعم الخطابي رأيه بدليل من اللغة بقول ابن السكيت، وبحديث شريف وبكلام من أمثال العرب ما يدحض به حجة خصمه[2].

ومثل هذا التحليل والتخريج يرقى أن يُعدّ تخريجاً فنياً، يرتقي إلى مستوى عظمة النص القرآني وإعجازه المحدد بجمال اللغة، والمعنى الأصيل والنظم المؤلف للعبارة، كما يكشف التحليل أن الخطابي كان مدركاً للأسس المكونة لجمالية النص.

وفي سياق مقارعة الشبهات بالحجة والعقل، كان الخطابي في أكثر ردوده على الاعتراضات يوجهها توجيهاً حجاجياً، فيدعم رأيه بجملة فيها تقريع للخصم وكشف لزيف مزاعمهم الباطلة؛ ففي اعتراضهم على قوله تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴾ [3] ، وزعمهم أنّ الهلاك لا يُستعمل إلا في تلف الأعيان، جاء ردّه رادعاً عليهم بأنهم "ما زادوا على أن عابوا أفصح الكلام وأبلغه"[4]، وفي اعتراضهم على قوله تعالى: ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾ [5]، ردعهم بقوله: "فإنهم قد غلطوا في تأويل هذا الكلام وذهبوا عن المراد فيه"[6]، وكذلك صنيعه مع باقي الشبهات في الآيات الأخرى. ومن يراجع الاعتراضات والشبهات يتابع ردود الخطابي عليها يقف على حقيقة أنّ ردود الخطابي كانت ملائمة ومناسبة لسياق القول؛ بمعنى أنّه كان يرد على كل اعتراض من خلال التقنية المناسبة لدحض ذلك الاعتراض، ويمكن لنا أن نستعرض جزءاً منهما لتبيان المقصود.

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص38-41.

(2) ينظر: الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص41-42.

(3) سورة الحاقة، آية 29.

(4) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص44.

(5) سورة مريم، آية 96.

(6) ينظر: الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص45.

| الاعتراض | موضع الطعن به | رد الخطابي ضمن آليات الحجاج |
|---|---|---|
| - قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ** ﴾ (1) | لفظ "يسير" لا يتناسب في اللغة مع الكيل(2) | حجة لغوية صرفية، فالمصادر توضع موضع الأسماء، فالكيل هنا بمعنى المكيل، وهي حجة سياقية دلالية إذ تأتي يسير بمعنى متيسر أو سريع أو بمعنى السعر(3) |
| - قوله تعالى: ﴿ **هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ**﴾ (4) | لفظ الهلاك يُستعمل في الأعيان والأشخاص كقولنا هلك زيد(5). | حجاجية الاستعارة بقصد توجيه الخطاب لغاية إقناعية هي المبالغة، عندما يكون المجاز أبلغ من الحقيقة(6). |
| - قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ** ﴾ (7) | الصواب قولنا زكّى فلان ماله أو أدّى زكاة ماله لا نقول أحد من الناس فعل الزكاة(8). | حجاجية المجاز لاستدعاء معنى ضمني بلاغي هو المبالغة في الأداء والمواظبة عليها حتى تصبح أداء الزكاة فعلاً مضافاً إليهم(9). |

(1) سورة يوسف، آية 65.

(2) ينظر: الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، 38.

(3) ينظر: الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص42-43.

(4) سورة الحاقة، آية 29.

(5) ينظر: الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص38.

(6) ينظر: الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص43-44.

(7) سورة المؤمنون، آية 4.

(8) ينظر: الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص38.

(9) ينظر: الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص44-45.

| الاعتراض | موضع الطعن به | رد الخطابي ضمن آليات الحجاج |
|---|---|---|
| - قوله تعالى: ﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ**﴾ عقيب قوله: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً**﴾ [1] | سوء التأليف، وسوء نسق الكلام على ما ينوب عنه ولا يليق به[2]. | حجاجية المقام والسياق الدلالي للنص يكشف عن حسن التراتب والبناء، "الانحراف الدلالي للسياق" ذلك أن النص القرآني يقبل التأويل فأيهما تعتمد وتعلّق عليه الكاف حملها وصح الكلام عليه[3]. |
| - قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى**﴾ [4] | وجد حذف للجواب أُشكل معه وجه الكلام ومعناه[5] | حجاجية الحذف، فهو نوع من أنواع البلاغة ذلك أن البلاغة هي الإيجاز، وفيه توجيه إقناعي أن الحذف أبلغ من الذكر؛ لأن النفس تذهب في تقدير الجواب كل مذهب فيتسع لها من التقدير ما يكون أليق بالمقام[6]. |
| - قوله تعالى: ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾[7] | تكرار مضاعف غير محمود عند أهل اللسان وليس من النوع الأفضل من طبقات البيان[8] | بلاغة التكرار وما يحمله من توجيه حجاجي وفوائد مقامية تستدعي إعادة الذكر كزيادة التنبيه وإقامة الحجة، كما أنه عامل يساعد على الربط بين أجزاء الكلام ويحقق تماسكاً للنص[9]. |

(1) سورة الأنفال، آية 5.

(2) ينظر: الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص39.

(3) ينظر: الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص49-50.

(4) سورة الرعد، آية 31.

(5) ينظر: الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص39-40.

(6) ينظر: الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص51-52.

(7) سورة الرحمن، آية 13.

(8) ينظر: الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص40.

(9) ينظر: الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص53.

**المبحث الخامس: حجاجية المعارضة في رسالة الخطابي**

يُخصّص الخطابي الجزء الأخير من رسالته لمسألة "المعارضة"، وغايته من هذا الجزء نقض ما جاؤوا به من معارضات القرآن، ممّن ادّعوا النبوة بالحجة والدليل والبرهان وإبطاله، ولا غرابة أن تكون مسألة المعارضة داخلة في حيز البلاغة؛ لأن الخطابي يعتمد في مناقشتها الأصول التي قررها لدراسة الكلام[1].

وفي هذا السياق يعرض الخطابي إلى ما ترويه كتب الأخبار من معارضة مسيلمة مثل قوله: "يا ضفدع نقي ما تنقين ..." [2]، ومعارضات أخرى دون أن ينسبها لأحد، منها "ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى ...." ومنها "الفيل، وما الفيل وما أدراك ما الفيل، ..." [3].

والمطلع على هذه الجزئية الخاصة بالمعارضة، يتبين فيها مسألة الحوارية [فإن قيل ... قيل] ، [وأما قول الآخر ... فإن ...]، ومن الواضح أنّ الحوار الذي يجريه الخطابي مع خصم ضمني، قد أظهر فيه الصيغة الحجاجية بقوة من خلال عرض الادّعاء أو الشبهة، ثم الرد عليه وتفنيده وإبطاله، وتكمن قوته من عظم القضية المحورية التي ينافحون حولها ويدور حولها حجاجهم، والخطابي في هذه المحاورة يعتمد على نظريته في النظم، التي كان قد قدّمها في أول رسالته، ويمكن لنا الوقوف على هذه المسألة الحوارية، وبيان القوة الحجاجية في ردود الخطابي عليها ومحاولة تفنيدها وتبكيت خصمه بالآتي:

| القول المعارض من خصم ضمني | | رد الخطابي الحجاجي |
|---|---|---|
| - فإن قيل: ما أنكرتم أن القوم قد عارضوه ولكنه لم يُنقل إلينا وغُيّب عنا ذكره، وكتم الخير | ← | قيل: هذا سؤال ساقط، والأمر فيه خارج عما جرت به عادات الناس، خواصهم وعوامهم من نقل الأخبار، وكيف يجوز ذلك عليهم في مثل هذا الأمر |

(1) ينظر: أبو موسى، محمد محمد، *الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم*، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1997، ص71.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص55.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص55-56.

| القول المعارض من خصم ضمني | | رد الخطابي الحجاجي |
|---|---|---|
| فيه لما اتسع الإسلام ..... فانقطع رسمه وأمحى أثره[1] | | العظيم الذي قد انزعجت له القلوب[2]. |
| - فإن قيل: ما أنكرتم أن المعارضة قد حصلت منهم لبعضه نحو ما حكي عن مسيلمة من قوله: "يا ضفدع نفي ما تتقين، لا الماء تكدرين ولا الوارد تنفرين[3]. | ← | قيل: أما قول مسيلمة في الضفدع لمعلوم أنه كلام خالي من كل فائدة لا لفظه صحيح ولا معناه مستقيم ولا فيه شيء من الشرائط الثلاث التي هي أركان البلاغة وإنما تكلّف هذا الكلام الغث لأجل ما فيه من السجع[4].<br>وهل يخالج أحد شك في ضلالة من هذا سبيله، وسقوط من هذا برهانه ودليله؟ وأي بلاغة في هذا الكلام[5]. |
| - فإن قيل: وكما حكى عن بعضهم من قوله: "ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى"[6]. | ← | قيل: كل واحد من هذين الكلامين مع قصر آية وقصر معانيه خال من أوصاف المعارضات وشروطها وإنما هو استراق واقتطاع من عرض لكلام القرآن واحتذاء لبعض أمثلة نظومه. ولن يصيبوا فهي شيء من ذلك حذوه[7]، فإن أول ما غلط به هذا الجاهل أنه وضع كلمة الانتقام في قوله تعالى: |

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص55.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص55.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص55.

(4) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص55-56.

(5) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص57.

(6) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص55.

(7) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص55-56.

| القول المعارض من خصم ضمني | | رد الخطابي الحجاجي |
|---|---|---|
| | | (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل في موضع كلمة الإنعام، فغلط في الوصوف وأخطأ في المعنى كما أبطل في الدعوى) [1]. |
| - فإن قيل: وكما حكى عن بعضهم من قوله "الفيل، ما الفيل وما أدراك ما الفيل، له مشفر طويل"[2] | ← | قيل: كلام خالٍ من أوصاف المعارضات وشروطها وإنما هو استراق واقتطاع من عرض كلام القرآن واحتذاء لبعض أمثلة نظومه، وكلا لن يبلغوا شأوه[3].<br>أما علمت يا عاجز أن مثل هذه الفاتحة تُجعل مقدمة لأمر عظيم الشأن فائت الوصف كقوله تعالى: (الحاقة، الحاقة فهذا سبيلك فيما أتيته من الجهل؟[4] |

وفي سعي الخطابي لفحص كلام مسيلمة في ضوء النظم القرآني، لبيان تهافته وتهاويه ووهيه، ولبيان قصوره عن أوصاف المعارضات، طفق يشرح مفهوم المعارضة ويبين أصولها وحدودها، ويعدد الوجوه التي تأتي عليها المعارضة، مدعّماً كل وجه منها بنماذج وصور من الشعر العربي الأصيل، ليصل الخطابي إلى نتيجتة المفحمة أنك "إذا وقفت على شروط المعارضات ورسومها، وتبينت مذاهبها ووجوها علمت أنّ القوم لم يصنعوا في معارضة القرآن شيئاً، ولم يأتوا من أحكامها بشيء البتة"[5]. وهو ما يمكن تمثيله بالسلم التالي

(1) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص69-70.

(2) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص50.

(3) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص57-58.

(4) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص66.

(5) الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص66.

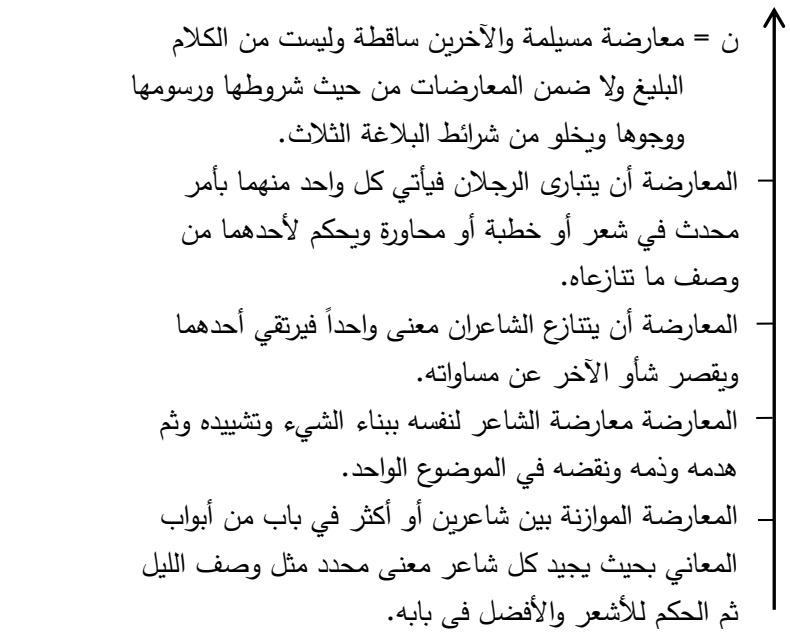


ويمكن لنا في هذه الجزئية التي قدّمها الخطابي، وأظهر بها ذائقة فنيةفي تحليل الأشعار والموازنة بينهما، موازنة علمية دقيقة مركّزاً على أوجه الجمال فيها، أن نتلمّس أربعة أمور:

الأول: كشفت عن خبرة الخطّابي الحصيفة بتحليل النصوص والموازنة بينها وبين أساليبها، وإدراكه لمواطن الجمال فيها، وهذا يدفعنا للقول إنّ الرؤية الإعجازية في مستوياتها الفنية قد أسهمت بفاعلية في الرؤية النقدية.

ثانياً: ظهور آلية حجاجية هي "**الحجاج بالتعريف**"، وهي من أساليب الحجاج وأشكال الإقناع الشائعة، يلجأ إليها المتكلم لامتلاك قواعد الابتداء البرهاني، التي يتقوّم بها محيط الاعتقاد، ويُصنع من خلالها مآل الاقتناع[1]، وتمثّل حجة قوية استناداً إلى صحة التعريف وقبوله عن المتلقي. وقد لمسنا هذه الآلية في التعريفات التي قدّمها للمعارضة كتعريفات حجاجية مقنعة، تبين ما يحسن أن يتوفر للمتعارضين من شروط وخصائص مثل التساوي والتقارب في الأداء والأسلوب وإن اختلفا في المقدرة والقيمة الفنية.

ثالثاً: كشفت عن الدافع وراء هذا الإطناب والتفصيل، في شرح مفهوم المعارضة وبيان وجوهها وتصرّفاتها في الكلام، وهو الحجاج المقنع الذي يُبطل وصف المعارضة وجريانها على الكلام السفيه، الذي نسب إلى مسيلمة وغيره، فالوجوه التي قُدمت للمعارضة هي حجاج إقناعي لردّ أقوال مسليمة، تخلو

(1) الشعبان، علي، *الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل*، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2010، ص414.

من المعارضة وأصولها وليست منها في شيء، وفي هذا تبكيت للخصم وإبطال لدعواهم وتبيان غلطهم وخطئهم في المعنى، وهذه –على حد تعبير الخطابي– "سبيل مقالات المتكلمين وعاقبة دعاوي المبطلين".

رابعاً: تدعيم الخطابي حديثه في هذه الجزئية بآلية حجاجية "الحجاج بالشاهد الشعري"، وهي من الحجج القوية التي يستعملها المتكلم للوصول إلى أغراضه الحجاجية، فمن خلال الوقوف على هذه الشواهد وتفحّص التحليلات الدقيقة الناقدة التي قدّمها الخطابي لها برؤيته وذوقه الفني البديع نتبين أنّ[1]:

- مسيلمة تكلّف كلامه لأجل ما فيه من السجع؛ لأن عادة الساجع أن يجعل المعاني تابعة لسجعه ولا يبالي بما يتكلم به.
- مسيلمة يتحيف من ألفاظ القرآن فينسف منها ويبدّل كلمة مكان كلمة، فيصل بين بعضها وصل ترقيع وتلفيق.

**الخاتمة:**

إنّ اختيار رسالة أبي سليمان الخطابي لتكون موضوع الدرس والتحليل، اختيار له ما يبرره، فالرسالة تصوّر مرحلة جديدة من مراحل الدراسة البيانية لأسلوب القرآن، ووجهة نظر طريفة، وهي مسألة نظم القرآن بمعنى التأليف وما تخضع له الألفاظ والمعاني من أمور لتمامه. فكانت رسالة الخطابي بذلك من أوائل الدراسات التي أكّدت أنّ إعجاز القرآن يكمن في نظمه، وذلك من خلال مواجهته لهذه المسألة، فواجه مواجهة مباشرة، استطاع معها أن يؤسس خطاباً نقدياً يقوم على مبدأ النظم أساس الإعجاز.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى نتائج عدّة يمكن لنا حصرها بالنقاط الآتية:

أولاً: مثّلت رسالة الخطابي أنموذجاً صالحاً للتطبيق على آليات النظرية الحجاجية، ما يؤكد نجاعة التقنيات الحجاجية للتطبيق على النصوص والمدونات الإعجازية، كونها تتخذ من الحوار والجدل والمجادلة أسلوباً في محاولة إقناع الآخر وتغيير سلوكه وآرائه.

ثانياً: اعتمد الخطابي على استراتيجيات خطابية خاصة تمتد من مرحلة السياق ذهنياً والاستعداد للمناظرة لإثبات إعجاز القرآن الكريم من جميع النواحي.

(1) انظر الخطابي، *بيان إعجاز القرآن*، ص57–58.

ثالثاً: تعددت الأساليب الحجاجية في نص رسالة الخطابي بين لغوي وبلاغي وعقلي، ما أكسب الرسالة الطبيعة الحجاجية التي تهدف إلى الإقناع بشتى الوسائل والأدوات الإجرائية.

رابعاً: استثمر الخطابي الروابط والعوامل الحجاجية بشكل لافت في الرسالة ودلالتها في ترتيب الحجج ونسجها في خطاب واحد متكامل، كما استثمر آليات حجاجية أخرى أكّدت فاعليتها في توجيه الخطاب نحو مقاصده.

خامساً: قامت الرسالة على صيغة الحوار والسجال من خلال افتراض خصم ضمني ومناظر حقيقي وهي صورة تثير مسألة الحوارية لتحقيق غرض حجاجي رئيسي، وهو توجيه المخاطب إلى الاقتناع وتغير السلوك أو التوجهات.

سادساً: تميّز الحجاج التداولي في الرسالة بملاءمته لمقاصد الموضوع والحال من جهة وللمقام المصاحب للخطاب من جهة أخرى.

**قائمة المصادر والمراجع:**


ابن منظور، معجم *لسان العرب*، طبعة جديدة منقّحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2014.

أبو موسى، محمد محمد، *الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم*، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1997.

أرسطوطاليس، *الخطابة (الترجمة العربية القديمة)*، عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط2، 1968.

أعراب، حبيب، "الاستدلال الحجاجي"، *مجلة عالم الفكر*، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، الكويت، المجلد 30، العدد 1، 2001.

البهلول، عبد الله، *الحجاج الجدلي خصائصه الفنية وتشكيلاته الأجناسية*، دار كنوز المعرفة، عمان، 2016.

بوقرة، نعمان، *اللسانيات اتجاهاتها وقضاياه الراهنة*، عالم الكتب الحديث، إربد، 2009.

تحريشي، محمد، *النقد والإعجاز*، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2004.

التهانوي، محمد(1158هـ/1745م)، *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون*، تقديم علي العجم، تحقيق علي دحروج وآخرون، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ج1، 1996.

حمد بن إبراهيم الخطابي، أبو سليمان، "بيان إعجاز القرآن" ضمن كتاب *ثلاث رسائل في إعجاز القرآن*، حققها محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلاّم، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، 1956.

حمداوي، جميل، *من الحجاج إلى البلاغة الجديدة*، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014.

درنوني، إيمان، *الحجاج في النص القرآني*، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، إشراف الجودي مرداسي، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، 2013.

الدريدي، سامية، *الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه*، عالم الكتب الحديث، إربد، 2008.

الرقبي، رضوان، "الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله"، *مجلة عالم الفكر*، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، الكويت، المجلد 40، العدد 2، 2011.

السكاكي، *مفتاح العلوم*، تعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978.

سلاّم، محمد زغلول، *أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري*، تقديم محمد خلف الله أحمد مكتبة الشباب، الإسكندرية، 1952.

الشعبان، علي، *الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل*، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2010.

صحراوي، مسعود، *التداولية عند العلماء العرب*، دار الطليعة، بيروت، 2005.

صمود، حمادي، *أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم*، كلية الآداب منوبة، تونس، (د.ت).

الطلبة، محمد سالم، *الحجاج في البلاغة المعاصرة*، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.

عبد البديع، عزمي، "في ظلال رسالة الخطابي– بيان إعجاز القرآن"، مقال عبر الشبكة العنكبوتية https//www.rawamag.com.

عبد الرحمن، طه، *اللسان والميزان والتكوثر العقلي*، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء، 1998.

عبد الرحمن، طه، *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام*، المركز الثقافي العربي، الرباط، 2014.

عبد الكريم، أشرف عبد البديع، *الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم*، مكتبة الآداب – القاهرة، 2008.

عبد المجيد، جميل، *البلاغة والاتصال*، دار غريب، القاهرة (د.ت).

عرفة، عبد العزيز عبد المعطي، *قضية الإعجاز وأثرها في تدوين البلاغة*، عالم الكتب، بيروت، 1985.

علوي، حافظ اسماعيلي، *الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة*، عالم الكتب الحديث، إربد، 2010.

العليوي، يوسف، *الأسس المنهجية لدراسة البلاغة القرآنية*، دار كنوز إشبيليا، الرياض، 1439.

المسدّي، عبدالسلام، "مراجعات في الثقافة العربية"، *مجلة الحياة الثقافية*، *وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، تونس*، المجلد 4، العدد6، 1979.

## References


‘Abd al-Badī‘, ‘Azmī, fī ẓilāl Risālat al-Khaṭṭābī / bayān I‘jāz al-Qur’ān, maqāl ‘abra al-Shabakah al-‘ankabūtīyah https / / www. rawamag. com.

‘Abd al-Karīm, Ashraf ‘Abd al-Badī‘, al-dars al-Naḥwī al-naṣṣī fī kutub I‘jāz al-Qur’ān al-Karīm, Maktabat al-Ādāb – al-Qāhirah, 2008.

‘Abd al-Majīd, Jamīl, al-balāghah wa-al-Ittiṣāl, Dār Gharīb, (D. Ṭ).

‘Abd al-Raḥmān, Ṭāhā, al-lisān wa-al-mīzān wāltkwthr al-‘aqlī, al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī – al-Dār al-Bayḍā’, 1998.

‘Abd al-Raḥmān, Ṭāhā, fī uṣūl al-Ḥiwār wa-tajdīd ‘ilm al-kalām, al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, al-Rabāṭ, 2014.

Abū Mūsá, Muḥammad Muḥammad, al-i‘jāz al-balāghī dirāsah taḥlīlīyah li-turāth ahl al-‘Ilm, Maktabat whbt-al-Qāhirah –2nd edition, 1997.

‘Alawī, Ḥāfiẓ Ismā‘īlī, al-Ḥajjāj mafhūmuhu wa-majālātuh Dirāsāt Naẓarīyat wa-taṭbīqīyah fī al-balāghah al-Jadīdah, ‘Ālam al-Kutub alḥdyth-Irbid, 2010.

al-Bahlūl, ‘Abd Allāh, al-Ḥajjāj al-jadalī khaṣā’iṣuhu al-fannīyah wa-tashakkulātih al-asāsīyah, Dār Kunūz al-Ma‘rifah ‘Ammān , 2016.

al-Duraydī, Sāmiyah, al-Ḥajjāj fī al-shi‘r al-‘Arabī binyatuhu wa-asālībuh, ‘Ālam al-Kutub al-ḥadīth, al-Urdun, 2008.

al-Khaṭṭābī, Abī Sulaymān, bayān I‘jāz al-Qur’ān ḍimna Kitāb thalāth Rasā’il fī I‘jāz al-Qur’ān, ḥaqqaqahā Muḥammad Khalaf Allāh Aḥmad, Muḥammad Zaghlūl Sallām, Dār al-Ma‘ārif –al-Qāhirah, al-3rd edition, 1956.

almsddy, ‘Abdussalām, Murāja‘āt fī al-Thaqāfah al-‘Arabīyah, Majallat al-ḥayāh al-Thaqāfīyah, Wizārat al-Thaqāfah wa-al-Muḥāfaẓah ‘alá al-Turāth, Tūnis S 4, ‘6, 1979.

alrqby**,** Raḍwān, al-istidlāl al-Ḥajjājī altdāwly wa-ālīyāt ashtghālh, ‘Ālam al-Fikr, Majallat ‘Ālam al-Fikr, al-Majlis al-Waṭanī lil-Thaqāfah wa-al-Funūn wa-al-Ādāb, al-Kuwayt al-mujallad (40), al-‘adad (2), 2011.

al-Sakkākī, Miftāḥ al-‘Ulūm, ta‘līq Na‘īm Zarzūr, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah – Beirut, 1978.

al-Sha‘bān, ‘Alī, al-Ḥajjāj wa-al-ḥaqīqah wa-āfāq al-ta’wīl, Dār al-Kitāb al-jadīd – Beirut, 2010.

al-Tahānawī, Muḥammad, Mawsū‘at Kashshāf iṣṭilāḥāt al-Funūn, taqdīm ‘Alī al-‘Ajam, taḥqīq ‘Alī Daḥrūj wa-ākharūn, Maktabat Lubnān Nāshirūn, j1, 1996.

al-ṭalabah, Muḥammad Sālim, al-Ḥajjāj fī al-balāghah al-mu‘āṣirah, Dār al-Kutub al‘lmyt- Beirut, 2008.

‘Alyawī, Yūsuf, al-Usus al-Manhajīyah li-Dirāsat al-Balāghah al-Qur’ānīyah, Dār Kunūz Ishbīliyā – al-Riyāḍ, 1439.

A‘rāb, Ḥabīb, al-Istidlāl al-Ḥajjājī, Majallat ‘Ālam al-Fikr, al-Majlis al-Waṭanī lil-Thaqāfah wa-al-Funūn wa-al-Ādāb, al-Kuwayt, al-mujallad (30), al-‘adad (1), 2001.

‘Arafah, ‘Abd-al-‘Azīz ‘bdālm‘ty, Qaḍīyat al-i‘jāz wa-atharuhā fī tadwīn al-balāghah, ‘Ālam alktb-byrwt, 1985.

Aristotle, al-Khaṭābah (al-tarjamah al-‘Arabīyah al-qadīmah), ‘Abd al-Raḥmān Badawī, Dār al-Shu’ūn althqāfyt-Baghdād, 2nd edition, 1968.

Būqirrah, Nu‘mān, al-lisānīyāt atjāhāthā wa-qaḍāyāhā, ‘Ālam al-Kutub, 2009.

Dernoni, Īmān, al-Ḥajjāj fī al-naṣṣ al-Qur’ānī, Risālat mājistīr, Qism al-lughah al-‘Arabīyah wa-ādābihā, Kullīyat al-Ādāb wa-al-lughāt, ishrāf D. al-Jūdī mrdāsy, Jāmi‘at al-Ḥājj Lakhḍar, al-Jazā’ir, 2013.

Ḥamdāwī, Jamīl, min al-Ḥajjāj ilá al-balāghah al-Jadīdah, Afrīqiyā al-Sharq, 2014.

Ibn manẓūr, Lisān al-‘Arab, Ṭab‘ah jadīdah mnqqḥh, māddat (Ḥujaj), al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, al-mujallad al-Thānī, al-juz’ al-rābi‘, 2014.

Ṣaḥrāwī, Mas‘ūd, al-Tadāwulīyah ‘inda al-‘ulamā’ al-‘Arab, Dār al-Ṭalī‘ah-Bayrūt, 2005.

Sallām, Muḥammad Zaghlūl, Athar al-Qur’ān fī Taṭawwur al-naqd al-‘Arabī, Maktabat al-Shabāb, al-Iskandarīyah, 1952.

Ṣammūd, Ḥammādī, ahamm naẓarīyāt al-Ḥajjāj fī al-taqālīd al-Gharbīyah min Arisṭū ilá al-yawm, Kullīyat al-Ādāb Manūbah, Tūnis, (D. t).

Taḥrīshī, Muḥammad, al-naqd wa-al-i‘jāz, Manshūrāt Ittiḥād al-Kitāb al-‘Arabī, Dimashq, 2004.